

الجزء السابع	تونس في صفر الخير عام ١٣٥٧ وفي مارس ١٩٣٨	المجلد الثاني

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة ومديرها :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

رئيس قلم تحريرها

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

المجلد الثاني | فهرس العدد | الجزء السابع

المقال	صاحبه
٢٨٩ الربا	بقلم رئيس التحرير
٢٩٥ تفسير سورة الفاتحة (٦)	« صاحب الفضيلة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي
٣٠١ باب ما انزل الله داء الا انزل له شفاء ...	« المنعم الشيخ محمد بن القاضي
٣٠٥ التعاضد المتين بين العلم والعقل والدين (٤)	« العلامة الشيخ محمد الحجوي
٣٠٩ التاريخ واهميته واوليته (٢)	« العلامة الشيخ عبد الرحمان زيدان
٣١٤ العمامة الخضراء	« العلامة المؤرخ امير الامراء السيد محمد ابن الخوجة
٣١٩ اعظم مشروع للاسعاف العام	» رئيس التحرير
٣٢٢ حول تاسيس المدارس القرءانية	« العالم الهمام السيد خير الله بن مصطفى
٣٢٥ سهولة الحج الى البلاد المقدسة	« السيد محمد الطاهر الطيب
٣٢٦ العاطفة في الادب العربي	« الاديب النابغ السيد احمد المختار الوزير
٣٣٠ مجلس اصلاح التعليم بالجامع الاعظم	« ....
٣٣٤ خطاب شيخ الجامع بالجلسة الافتتاحية لمجلس الاصلاح	« ....

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

« في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية لا تكون الا معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس



الجزء السابع | تونس في صفر الخير عام ١٣٥٧ وفي افريل ١٩٣٨ | المجلد الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الربــــا (*)

بقلم رئيس التحرير

ايها السادة الفضلاء

سيكون حديثي معكم في هذا المساء عن الربا ، وما ادراكم ما الربا ، ذلك الداء العضال الذي تفشى استعماله بيننا ، وانتشر في سائر اوساطنا ، ولم يسلم منه لا الاغنياء ولا الفقراء ، ولا الرجال ولا النساء ، بحيث لا يكاد يوجد احد غير مصاب بضررة ، ومن لم يحترق بنارة فهو ملتهب بشررة

وهو داء قد جلبناة بانفسنا لانفسنا ، فالله تعلى قد حرمه علينا ، وحذرنا منه اشد تحذير ، وقال فيه القرءان ما لم يقله في شيء سواة ، وقالت فيه السنة ما لم تقله فيما

(*) هذه محاضرة كنت القيتها في حفلة جمعية الشبان المسلمين بمدينة باجة ، ونظرا لاهمية موضوعها ، آثرت نشرها هنا تعميما للفائدة ، والله الهادي الى سواء السبيل

عداه ، ورأينا ضرره بالعيان ، وما بعد العيان بيان ، ومع ذلك فنحن لا نزال عليه مقبلين وفي قذارته منغمسين

جاءتنا النذر فما اتعظنا ، وتليت علينا الآيات البينات فما ارتدعنا ، وتوالت علينا المصائب والجوائح ، ووصلنا الى حالة من الفقر والافلاس جديرة بان تنشد فيها المراثي وتنوح فيها النوائح

واذا البينات لم تغن شيئا فالتماس الهدى بهن عناء

فهل ءان لنا ان نقلع عن هذا الغي ونرجع الى الصواب ، ثم نترقب بعد ذلك من الله تعالى العفو والمغفرة وحسن المآب

ايها السادة

قارنوا بين الحالة التي نحن عليها الآن ، وبين الحالة التي كنا عليها من منذ اعوام قريبة ، ثم ابحثوا عن العلة في هذا الانقلاب الفظيع ، والاضطراب المريع ، فعند ذلك يظهر لكم صدق ما نقول

الكبار منكم شاهدوا بانفسهم ، والصغار منكم علموا بالنقل عن ءابائهم ، ان حالتنا في الزمن الماضي كانت خيرا بكثير من حالتنا في الزمن الحاضر

كان الرجل الفلاح يخدم ارضه على قدر طاقته ، فيحرثها على ظهور المواشي ، ويحصدها ويجمعها بواسطة الرجال والدواب ، فكانت نتيجته قليلة ولكنها محفوفة بالبركة ، فاذا انتهى موسم الفلاحة وجد عنده من المال ما يكفي لقضاء حاجته وحاجة اهله في بقية العام ، واذا كان من ذوي اليسار تمكن من اشتراء شيء جديد يضمه الى مكاسبه ، ويدخره لابنائه واقاربه ، وهو مع ذلك يعيش في رغد عيش وهناء بال ، معتمدا على الله مترقبا فضله

فكنت ترى الفلاحين من سكان المدن والبوادي ، يعلو وجوههم البشر ، يرتدون احسن الثياب وانظفها ، ويأكلون اشهى الاطعمة والذها ، كل في دائرته التي يقدر عليها والتي اهله الله لها اما اليوم فانك ترى الفلاحين على اسوا حال ، وجوه مقطبة ، وافكار مشردة ، واسمال متسخة بالية ، وجيوب من المال خاوية ، الاراضي تباع بابخس الاثمان ،

والديار الكبرى خالية من السكان ، والاغنياء و قفون على ابـواب الفـقر ، والفـقراء واقفون على ابواب الموت ، لا تجد الا مشتكيا باكيا ولا ترى الا معدما عانيا

فما هو السبب في ذلك ؟

هل بدلت الارض غير الارض ، هل شحت السماء بالمطر ، هل قعدنا عن العمل ، كلا ، لم يقع شيء من ذلك ، وانما هي البركة رفعها الله عنا وحرمنا من خيرها بسبب التعامل بالربا

كان الفلاح فيما مضى لا يخرج في فلاحته عن طاقته ، فاذا كانت له ارض شاسعة وكان غير قادر على زرعها كلها زرع منها ما يقدر عليه ، فان جـاءته صابة حسنـة كانت اعماله ناجحة ، وان كانت صابته رديئة كانت خسارته غير فادحة ، فهو مستريح في كلتا الحالتين . اما اليوم فالفلاح قد صار لا يقنع بالقليل .وليس عنده الا القليل - فاذا كانت له ارض وكان لا يقدر الا على زرع ربعها توسوس له نفسه بان يقترض المال ليزرع الباقي، فيذهب الى البنوك والى ديار المرابين ، فيقترض منهم المائه - على اقل تقدير - بعشرين ثم يمني نفسه بالربح الوافر الذي يظن انه يقدر به على تخليص الـديون التي ترتبت عليه وعلى استبقاء مال كثير بعد الخلاص

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فانه لا يقنع بادوات الفلاحة القديمة التي لا تكلفه من المصروف الا شيئا قليلا ، فيتعلق غرضه باشتراء (الماكينات) الكبيـرة ، والادوات الفلاحية التي يتبجح بتسميتها عصرية ترغيبا لنفسه في اشترائها ، فيذهب الى الديار التي تباع فيها هاته الآلات ويتعاقد معها عقودا مختلفة ، ويتظاهر له النواب في هاته الـديار بالتساهل في الدفع ، والحسن في المعاملة . والضحك في الوجه ، حتى يظـهر له ان كل صعب قد سهل عليه ، وان كل خير قد انقاد اليه ، فيسرع باتمام تلك العـقود ، وهـي عقود ربوية محضة ، حيث يدفع فيها بعض الثمن بالحاضر ويؤجل له البـاقي على اقساط شهرية او سنوية مع تحميل فائض باهض عليها ، وذلك هو عين الربا ، فيرجع المسكين بتلك الآلات فرحا مسرورا ، ظانا ان السعادة قد حفت به من كل جانب . وانه سيصبح من الاغنياء المترفين ؛ ولكنه ويا للاسف فرح قليل ؛ يعقبه حزن طويل ؛ وبكاء وعويل

ذلك ان تلك الآلات تستدعي مصاريف كثيرة : واعمالا شاقة عليه وعسيرة ؛ فهي تسير بالقاز وباللسانس ؛ وهما يحرقان المال كما تحرق النار الحطب ؛ ثم ان العمال في تلك الآلات يتطلبون اجورا وافرة يتعذر عليه القيام بها ؛ ثم ان تلك الآلات كثيرا ما يطرأ عليها الخلل والفساد ؛ واصلاحها يستدعي المال الغزير

والفلاح المسكين لا قدرة له على التحمل بهاته التكاليف المتعددة لانه لا مال عنده ؛ فيلزمه حينئذ الاقتراض ؛ فيتردد على البنوك وعلى ديار المرابين من جديد ؛ ويكون بسبب اضطراره وضيق باله حريصا على المال مهما كانت التكاليف ؛ فلا يناقش في الفائض الذي يفرضونه عليه ؛ ويرضى به ولو ارتفع مقداره الى حد غير معقول ؛ فتتراكم عليه عند ذلك الديون ؛ ويرجع بصفقة المغبون ؛ ويزداد همه ؛ ويشتد كربه وغمه. ثم اذا ارا ان يزرع ارضه لم يبق قانعا بان يزرع ما تيسر ؛ حيث ينظر الى ما عنده من الآلات والى ما تهيأ له من الاسباب في الظاهر ؛ فتوسوس له نفسه بان يقترض من جديد ليشتري ما يكفيه لزرع ارضه كلها ؛ فيتردد مرة ثالثة على المرابين ليقرضوه ؛ فيقرضونه على الصفة السابقة من تحميله بفائض فاحش ؛ وتقييده بشروط مرهقة ؛ وتكاليف مهلكة

فيشرع في العمل بعد ما تراكمت عليه الديون ؛ وحفت به الاخطار ؛ ونصبت له الشراك من كل جانب : فيكون عمله مضطربا مشوشا ؛ لان عقله ينصرف الى التفكير في تلك الديون التي غرقت فيها ذمته ؛ وكيف يعمل للخلاص منها ؛ والدين ـ عافاكم الله منه ـ هم بالليل ومذلة بالنهار

ثم بينما هو كذلك واذا بمطالب الخلاص تتوالى عليه ؛ وتنزل اوراق اللوسيات على راسه كاوراق الخريف . فالبانكة تطلب قسطها من الدين الذي حل اجله . والمرابي يتردد عليه صباحا مساء لاستخلاص دينه او يطالبه بالزيادة في الفائض ؛ ونائب الدار التي باعت له الات الفلاحة يطلب منه الدفع او يهدده ببيع ما اشتراه ؛ وينقلب ضحكه عند التعاقد الى شراسة ؛ وتنقلب مجاملته الى لؤم وحماقة ، فيزداد بذلك اضطراب الفلاح المسكين . ويقضي ليله في التفكير . ونهاره في سماع البذاءة والتعزير

ثم اذا تم نضج الصابنة ، وتفتحت الامال في وجه الفلاح ، واستعد لنيل وافر الارباح ، يعود له عند ذلك رشاده ، فيبوء بالخيبة والخسران ، وتصير اماله هباء تذروه الرياح ، لانه لا يخلو حاله . فان كانت صابته حسنة دفعها كلها في تسديد بعض الديون التي وقر بها ظهره ، وان كانت ردية اصبح واقعا بين مصيبتين ، مصيبة الخسارة في نفسها ومصيبة ارباب الديون الذين ينظرون اليه كما ينظر الاسد الى فريسته ، فتقام عليه الدعاوي من كل جانب ، ويصير اسمه ملوثا في جميع المحاكم وما هي الا ايام معدودات واذا بالاحكام تصدر عليه ، وتنزل على راسه كالصواعق ثم يشرع حالا في تنفيذها فتباع اولا ادوات الفلاحة ، ثم المواشي ، ثم الارض ، فان وفى ذلك كله بالدين فبها ، والا فتباع دار سكناه ، فيلقى بالاثاث على قارعة الطريق ، وتشتت نسائه وبناته في كل ناحية ، ويصير عاجزا حتى عن قوت يومه ، فينقلب الى سائل في الطرقات ، يبيع ماء وجهه بفواضل الصدقات ، وبعد ما كان يرفل في الدمقس والحرير ، يصير راغبا فيما تجريه الحكومة لامثاله من اوقية من الزيت ومائتي قرام من الشعير

هذه هي حالة الفلاحين ايها السادة . ولا اراني قد قلت في وصفها الا ما هو مشاهد لجميعكم فما الذي اوصلنا الى هاته الحالة السيئة ؟ وما الذي افضى بنا الى هذه التعاسة الكبرى ؟ وما الذي اوقعنا في هاته الضائقة التي لم نشاهد مثلها من منذ ازمان ؟

لا شك ان السبب في ذلك كله هو الربا

فقد نهانا الله عنه فما انتهينا . وانذرنا سوء عاقبته فما ارتدعنا . وشاهدنا فتكه بنا فما تجنبنا فهل نحن الآن عنه منتهون . والى طريق الهداية راجعون

ايها السادة

كيف يمكن للفلاح ان يترقب النجاة ويرجو الفلاح ، مع انه يخون شريكه ، ويعصي خالقه ومليكه

ايها السادة

ان الفلاحة كعقد شركة يقع بين العبد وخالقه ، يكون العمل فيها من جانب العبد ، والنجاح فيها بيد الله . فكيف يمكن للفلاح ان ينجح في عمله وهو مخالف في

جميع حركاته لما امر به الله فارضه التي يزرعها حرام . والحب الذي يزرعه حرام . وآلات فلاحته من حرام وماله الذي يتصرف فيه انجر اليه بوجه حرام

فكيف يترقب من الله ان ينجح اعماله . ويبلغه آماله

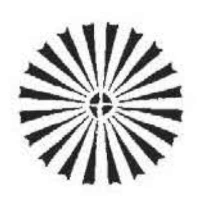
ايها السادة

ان ما حدثتكم به في جانب الفلاحة . يقال بعينه في بقية ما يقع بيننا من المعاملات والتجارات • وفيما نقوم به من الحركات • فحالة الجميع متساوية • وكلنا نسير الى طريق الهاوية • ما دمنا نتعامل بالربا ولا نراعي حرمة الدين • ولا نقرأ حسابا لكتاب الله جل جلاله • فالتاجر يستصغر بضاعته فيتعامل بالربا لتوسيع نطاقها • ومن يريد ان يزوج ابنته يتعامل بالربا ليفاخر بجهازها • ومن يريد ان يختن ولده يتعامل بالربا ليقيم الاحتفالات • ويتظاهر بالبذخ حتى يعد من الوجهاء الاعيان• ومن يسكن بدار لا ترضيه يتعامل بالربا لتشييد قصر فخيم واقامة بناء شاهق عظيم

وهكذا بقية الاصناف . ممن لا يدفعهم الى التعامل بالربا الا حب الترف والمبالغة في الاسراف • فمن اجل ذلك ذهبت ثرواتنا . وبيعت اراضينا . واخرجنا من ديارنا . واصبحنا فقراء اذلاء عالة نتكفف في الطرقات . نمثل الذل والهوان . ونشبح فلا يرثي لنا انسان وما ذلك الا من الربا الذي هو داء مهلك . ومرض قاتل دخل بيتا الا واخربها ودمرها ، نعوذ بالله من دائه العضال . وجرثومته الفتاكة

(يتبع)

محمد المختار بن محمود





تفسير الفاتحة

للعلامة الامام صاحب الفضيلة الشيخ محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

٦

(واياك نستعين) جملة معطوفة على جملة اياك نعبد وانما لم تفصل للاشارة الى حظور الفعلين جميعا في ارادة المتكلمين بهذا التخصيص اي نخصك بالاستعانة ايضا مع تخصيصك بالعبادة ، والاستعانة طلب العون ، والعون والاعانة تسهيل فعل شيء يشق باعداد طريق تحصيله كاعارة ءالة او مشاركة فعل البدن كالحمل والقود او بقول كالارشاد والتعليم او بمال كدفع المغرم ، والمقصود هنا الاستعانة على الافعال المهمة كلها التي اعلاها تلقي الدين وكل ما يعسر على المرء تذليله من توجهات النفوس الى الخير وما يستتبع ذلك من تحصيل الفضائل . وقرينة هذا المقصود افتتاح كتاب الشريعة ووقوع التخصيص بالاعانة عقب التخصيص بالعبادة فلذلك حذف متعلق نستعين الذي حقه ان يذكر مجرورا بعلى وقد افاد هذا الحذف ايهام عموم الاستعانة المقصورة على الطلب من الله تادبا معه تعلى فالحصر المستفاد من تقديم المعمول في قوله واياك نستعين حصر ادعاءي لعدم الاعتداد بالاستعانات غير المهمة ويفيد هذا القصر تعريضا بالمشركين وبراءة من صنيعهم فقد كانوا يستعينون بئالهتهم ومن ذلك الاستقسام بالازلام الموضوعة عند الاصنام ، ووجه الاتيان بضمير المتكلم المشارك في نعبد ونستعين الدلالة على ان هذه المحامد صادرة من جماعات ففيه اغاضة للمشركين اذ يذكرون ان المسلمين صاروا في عزة ومنعة ولانه ابلغ في الثناء من اعبد واستعين لئلا تخلو المناجاة عن ثناء ايضا بان المحمود المعبود المستعان قد شهد له الجماعات وعرفوا فضله وقريب من هذا قول النابغة في رثاء النعمان ابن الحارث الغساني

قعودا لـه غسان يرجون اوبة   وترك ورهط الاعجمين وكابل

فكان الحامد لما انتقل من الحمد الى المناجاة لم يغادر فرصة يقتنص منها الثناء الا انتهزها ، واعيد لفظ اياك في الاستعانة من دون ان يعطف فعل نستعين على نعبد مع انهما مقصودان جميعا كما انبأ عنه عطف الجملة لئلا يتوهم عدم قصد الحصر فيهما وان كان بين الحصرين فرق فالحصر في اياك نعبد حقيقي والحصر في اياك نستعين ادعاءي

(اهدنا الصراط المستقيم) تهيأ لاصحاب هذه المناجاة ان يسعوا لتحصيل حظوظهم الشريفة من طلب الهداية فانهم لما حمدوا الله ووصفوه بصفات الجلال ثم اتبعوا ذلك بقولهم اياك نعبد واياك نستعين الذي ظاهره خبر وفيه تعريض بالطلب لان الحمد لا حظ فيه للحامد بخلاف قولهم اياك نعبد الخ ففيه ثناء على الله تعلى بانه المخصوص بالعبادة والاستعانة وفيه حظ العبد بانه عابد ومستعين وانه قاصر ذلك على الله تعلى فكان ذلك واسطة بين الثناء وبين الطلب انتقلوا به من ثناء الى واسطة حتى اذا راوا الاقبال متوفرا افضوا الى سؤلهم فلذلك قالوا اهدنا الصراط المستقيم وهذا الوجه هو المناسب لكون الفاتحة ديباجة القرءان وهو انما جاء ليهدي الطالبين للهدي والرحمة فقوله اهدنا الصراط المستقيم هو حظ للطالب خاصة وشروع في طلب ما ينفعه عاجلا وءاجلا

والهداية الدلالة بتلطف ولذلك خصت بالدلالة لما فيه خير المدلول لان التلطف يناسب من اريد به الخير والفعل هدى واختلف فيه هل هو معتد للمفعول الثاني وهو المهدي اليه بالحرف او بنفسه والاستعمالان واردان وقد جمعهما في الاساس فقيل ان لغة الحجاز تعديه بنفسه ولغة غيرهم تعديه بالحرف . وقيل اصله التعدية بالحرف باللام او الى واما تعدينه بنفسه فعلى التوسع المعبر عنه بالحذف والايصال والى هذا ذهب صاحب الكشاف . وقيل الفرق بين المتعدي وغيره ان المتعدي يستعمل في الهداية لمن كان في الطريق ونحوه ليزداد هدى ومصدره حينئذ الهداية واما هداه الى كذا اولكذا فيستعمل لمن لم يكن سائرا في الطريق ومصدره هدى والذي اراه ان التعدية والقصور ليسا من الاشياء التي تصنع باليد او يصطلح عليها احد بل هي جارية على معنى الحدث المدلول للفعل فان كان الحدث لا يتقوم معناه الا بتصور من قام به فهو الفعل القاصر وان كان لا يتقوم الا بتصور من قام به ومن وقع عليه معا وهو المعتدي الى واحد او اكثر فان اشكلت افعال فانما اشكالها لعدم اتضاح تشخص الحدث المراد منها لان معناها يحوم حول معان متعددة ، وهدى متعد الى واحد لا محالة وانما الكلام في تعديته الى ثان فالحق انه ان اعتبر فيه معنى الاراءة والابانة تعدى بنفسه كما هنا وان اعتبر فيه مطلق الارشاد والاشارة فهو متعد بالحرف كما في قوله تعلى فاهدوهم الى صراط الجحيم فحالة تعديته هي المؤذنة بالفعل المتضمن له ، والهداية انواع تندرج كثرتها تحت اربعة اجناس مترتبة الاول اعطاء القوى المحركة والمدركة التي بها يكون الاهتداء الى انتظام وجود الذات ويندرج تحتها انواع تبتدي من الهام الصبي التقام الثدي والبكاء عند الالم الى غاية الوجدانيات التي بها يدفع عن نفسه كادراك هول المهلكات وبشاعة المنافرات ويجلب مصالحه الوجودية كطلب الطعام والماء وذود الحشرات عنه وحك الجلد واختلاج العين عند مرور ما يؤذي عليها ونهايتها احوال الفكر وهو حركة النفس في المعقولات اعني ملاحظة المعقول لتحصيل المجهول في البديهات وهي القوة الناطقة التي انفرد بها الانسان المنتزعة من العلوم المحسوسة . الثاني نصب الادلة الفارقة بين الحق والباطل والصواب والخطا وهي هداية العلوم النظرية .

الثالث الهداية الى ما قد تقصر عنه الادلة ويفضي اعمالها في مثله الى مشقة وذلك بارسال الرسل وانزال الكتب وموازين القسط واليها الاشارة بقوله تعلى في شان الرسل وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا. الرابع اقصى اجناس الهداية وهي كشف الحقائق العليا واظهار اسرار المعاني التي حارت فيها الباب العقلاء اما بواسطة الوحي او الالهام الصحيح او التجليات وقد سمى الله تعلى هذا هدى حين اضافه للانبياء فقال اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ولا شك ان المطلوب بقوله اهدنا الملقن للمؤمنين هو ما يناسب حال الداعي بهذا سواء دعا به داع خاص او طائفة خاصة عند ما يقولون اهدنا او هو انواع لهداية على الجملة باعتبار توزيعها على من تاهل لها بحسب اهليته ان كان دعاء على لسان المؤمنين كلهم المخاطبين بالقرءان وعلى كلا التقديرين فبعض انواع الهداية مطلوب حصوله لمن لم يبلغ اليه وبعضها مطلوب دوامه لمن كان حاصلا له خاصة

والصراط الطريق وهو بالصاد وبالسين وقد قرئ بهما في المشهور وكذلك نطقت به بالسين جمهور العرب الا اهل الحجاز نطقوا به بالصاد مبدلة عن السين لقصد التخفيف في الانتقال من السين الى الراء ثم الى الطاء قال في لطائف الاشارات عن الجعبري انهم يفعلون ذلك في كل سين بعدها غين او خاء او قاف او طاء وانما قلبوها هنا صادا لتطابق الطاء في الاطباق والاستعلاء والتفخيم مع الراء استثقالا للانتقال من سفل الى علو اه اي بخلاف العكس نحو طست لان الاول عمل والثاني ترك. وبعض العرب قلبت السين بين الصاد والزاي وهي لغة قيس. ومن العرب من قلب السين زايا خالصة قال القرطبي وهي لغة عذرة وكلب وبني القين وهي مرجوحة وقد قرأ باللغة الفصحى جمهور القراء وقرأ بالسين ابن كثير في رواية قنبل وكذلك قرأ رويس عن يعقوب وابن محيصن حيثما وقع في القرءان وقرأ خلف عن حمزة باشمام الصاد زايا في كل القرءان وقرأ خلاد باشمام الصاد في خصوص قوله تعلى اهدنا الصراط المستقيم دون بقية ما وقع في القرءان وقيل في خصوص الصراط المستقيم صراط الذين وقيل كل صراط وقع معرفا دون المنكر والمشهور عنه هو اول الاقوال والقراءة بالصاد هي الراجحة لموافقتها رسم المصحف وكونها اللغة الفصحى . ولم يقرا احد بلغة عذرة سوى ما نقله ابن عطية عن الاصمعي انه روي عن ابي عمرو قراءته بالزاي الخالصة . فان قيل كيف كتبت في المصحف بالصاد وقرأها بعض القراء بالسين قلت احيب عنه بعد كون القراءة بالسين مرجوحة بان الصحابة كتبوها بالصاد تنبيها على الافصح فيها لانهم يكتبون بلغة قريش واعتمدوا على علم العرب فالذين قرأوا بالسين تاولوا ان الصحابة لم يتركوا لغة السين لانهم يعلمون ان لغة السين هي الاصل فاعتمدوا على اهتداء الناس الى ذلك ولو كتبوها بالسين مع انها الاصل لتوهم الناس عدم جواز العدول عنه لانه الاصل والمرسوم كما كتبوا المصيطر بالصاد مع العلم بان اصله السين ، والمستقيم المستوي مطاوع قومته فاستقام ومعنى المستقيم الذي لا اعوجاج فيه والمراد بالصراط المستقيم الدين الحق التام وهو

هنا دين الاسلام فانه قد امتاز بهاته الصفات من بقية الاديان قال تعلى وما جعل عليكم في الدين حرج وقال يريد الله ليبين لكم وقال ان الدين عند الله الاسلام اي هو الموصل للغاية ولا يكون المطلوب في اول سورة من كتاب الاسلام الا الاهتداء للدين الاقوم الاوضح وليس غير الاسلام وقيل الصراط المستقيم اريد به خصوص دين الاسلام او بعض الاديان المتقدمة قبل نسخها

(صراط الذين انعمت عليهم) بدل من الصراط المستقيم بدلا مطابقاوانما سلك طريق البدل دون ان يجعل صراط الذين انعمت هو المفعول ثم يوصف بالمستقيم على الاصل في كون الصفة تابعة للموصوف لفائدتين الاولى ان المقصود من الطلب ابتداء هو كون المهدي اليه وسيلة للنجاة وسيلة واضحة سمحة سهلة واما كونها سبيل الذين انعم الله عليهم فامر عارض. الفائدة الثانية ما في طريقة الابدال من التقرير للصراط وتحقيق مفهومه عند السامع لانه يكون قد عبر عنه بعبارتين فحصل مفهومه مرتين في الذهن فهو شبيه بالتوكيد اللفظي والمعنوي ولو قدم صراط الذين انعمت عليهم واردف بقوله المستقيم لتعين عدم اعادة لفظ الصراط لان الصفة مغنية عن اعادته بخلاف هذا الاسلوب. ثم ان في اختيار وصف الصراط المستقيم بانه صراط الذين انعمت عليهم دون بقية اوصافه ما في ذلك من تمهيد بساط الاجابة فان الكريم اذا قلت له اعطني كما اعطيت فلانا كان ذلك انشط لكرمه كما قرره الشيخ الجد قدس سره فيما ورد اللهم صل على محمد وعلى ءال محمد كما صليت على ابراهيم فيقول السائلون اهدنا الصراط المستقيم الصراط الذي هدي اليه عبيد نعمك مع ما في ذلك من التعريض بطلب ان يكونوا لاحقين في مرتبة الهدى باولئك المنعم عليم وتوطئة لما سياتي بعد من التبري من احوال المغضوب عليهم والضالين فتضمن ذلك تفاؤلا وتعوذا. وانعمت عليهم اي اعطيتهم النعمة بالكسر مشتقة من النعيم بمعنى راحة العيش وملائم الانسان والترفه لان بناء الفعلة بالكسر للهيئات ومتعلق النعمة اللذات الحسية ثم استعملت في اللذات المعنوية العائدة بالنفع ولو لم يحسها صاحبها قال النابغة.

فسكنت نفسي بعد ما طار روحها والبستني نعمى ولست بشاهد (٢)

فالمراد من النعمة في الآية التي لم يشبها ما يكدرها ولا تكون عاقبتها سوءا من خيرات الدنيا الخالصة من العواقب السيئة وخيرات الآخرة وهي الاهم فيشمل النعم الدنيوية كسبيها وموهوبها ويشمل النعم الاخروية. والنعمة بهذا المعنى يرجع معظمها الى الهداية لانها الهداية الى الكسبي من الدنيوي والى الاخري كله ظاهرة ولان الموهوبي من الدنيوي وان كان حاصلا بلا كسب الا ان الهداية معلن بحسن استعماله فيما وهب لاجله فالمراد من المنعم عليم الذين افيضت عليهم النعم

(٢) يخاطب النعمان بن جبلة الجلاحي من رؤساء جيش النعمان بن الحرث الغساني حين سبى سبيا من مرة رهط النابغة وفيهم عقرب ابنة النابغة فلما علم بها اطلقها واطلق سبي مرة كلهم لاجل النابغة وكان النابغة غائبا حينئذ.

الكاملة ولا يخفى تمام المناسبة بين المنعم عليهم وبين المهديين حينئذ فيكون في ابدال صراط الذين من الصراط المستقيم معنى بديع وهو ان الهداية نعمة وان المنعم عليهم بالنعمة الكاملة قد هدوا الى الصراط المستقيم فالموصول والصلة لاظهار ان النعمة حصلت حيث كانت الصلة فعلا ماضيا وللتعريض بالثناء والذكر الجميل لمن سبقونا بالايمان وباتباع فضائل الاديان .

فان قلت كيف يلتئم كون المسئول طريق المنعم عليهم فيما مضى وكونه هو دين الاسلام الذي جاء بعدهم ؟ قلت انما امرنا ان ندعو الى حصول دين قويم يكون في استقامته كصراط المنعم عليهم فاجبنا بدين الاسلام وقد جمع استقامة الاديان الماضية وزاد عليها فالمقصود الهداية الى صراط كامل ويكون هذا الدعاء محمولا في كل زمان على ما يناسب طرق الهداية التي سبقت زمانه والتي لم يبلغ الى نهايتها والقول في المطلوب من اهدنا على هذه التقادير كلها كالقول فيما تقدم من كون اهدنا لطلب الحصول او الزيادة او الدوام والجواب عن استعمال الامر في حقيقته ومجازه الجواب

(غير المغضوب عليهم ولا الضالين) يجوز جر غير ونصبه وقد قرىء بهما فالجر على الصفة للذين والنصب على اعتبار غير واقعا موقع المستثنى بالا

وفائدة الوصف بغير المغضوب عليهم التعوذ من سوء العواقب التي عرضت لبعض المنعم عليهم بالهداية فما رعوها حق رعايتها والتبرؤ من ان يكونوا مثلهم في بطر النعمة وسوء الامتثال وفساد التاويل وتغلب الشهوات الدنيوية على اقامة الدين حتى حق عليهم غضب الله تعلى وكذا التبرؤ من حال الذين هدوا الى صراط مستقيم فما صرفوا عنايتهم للحفاظ على السير فيه باستقامة فاصبحوا من الضالين بعد الهداية اذ اساءوا صفة العلم بالنعمة فانقلبت هدايتهم ضلالا . والغضب هنا غضب الله تعلى وهو عكس الرضى وفسر الغضب فينا بانه كيفية تعرض للنفس تتبعها حركة الروح الى الخارج وثورانها فتطلب الانتقام فهو سبب لطلب الانتقام فطلب الانتقام سبب لحصول الانتقام ولذلك فسر جمهور المفسرين غضب الله بارادة الانتقام من المغضوب عليه والذي يظهر لي ان ارادة الانتقام ليست من لوازم الغضب الملازمة لماهيته ولكنها قد تكون من آثاره وان الغضب هو كيفية للنفس تعرض من حصول ما لا يلائمها فتترتب عليه كراهية المغضوب منه وكراهية فاعله وتلازمه امور اشهرها الاعراض عن المغضوب عليه ومنع الاحسان اليه وقد يفضي ذلك الى طلب الانتقام منه فلذلك يختلف الحد الذي يحصل عنده الغضب باختلاف احتمال النفوس للمنافرات وباختلاف العادات واباية الضيم وضيق الراي واكبار الجريمة . فيكون غضب الله كناية عن ابعاد المغضوب عليه عن العناية والاحسان الناشىء عن العناية . والمراد من المغضوب عليهم والضالين جنسا فرق الكفر والفسوق فالمغضوب عليهم جنس للفرق التي تعمدت ذلك واستخفت بالديانة عن عمد او عن تاويل بعيد جدا والضالون جنس للفرق التي اخطات الدين عن سوء فهم وقلة اصغاء وكلا الفريقين مذموم معاقب لاننا مامورون باتباع سبيل الحق

وصرف الجهد الى اصابته ولعل اليهود من جملة الفريق الاول والنصارى من جملة الفريق الثاني كما يعلم من الاطلاع على تاريخ ظهور الدينين فيهم وليس يلزم اختصاص اول الوصفين باليهود والثاني بالنصارى واما ما ورد في الاثر مما ظاهره تفسير المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى فهو من قبيل التمثيل باقصى الفرق التي حق عليها هذان الوصفان

واعلم ان الغضب في اصطلاح حكماء الاخلاق مبدا من مجموع الاخلاق الثلاثة الاصلية التي يعبر عن جميعها بالعدالة وهي الحكمة والعفة والشجاعة فالغضب مبدا الشجاعة الا ان الغضب يعبر به عن مبدا نفساني لاخلاق كثيرة متطرفة ومعتدلة فيلقبون بالقوة العصبية ما في الانسان من صفات السبعية وهي حب الغلبة ومن فوائدها دفع ما يضره ولها حد اعتدال وحد انحراف فاعتدالها الشجاعة وكبر الهمة وثبات القلب في المخاوف وانحرافها اما بالزيادة فهي التهور وشدة الغضب من شيء قليل والكبر والعجب والشراسة والحقد والحسد والقساوة او بالنقصان فالجبن وخور النفس وصغر الهمة فاذا اطلق الغضب لغة انصرف الى بعض انحراف الغضبية

وقوله ولا الضالين معطوف على المغضوب عليهم كما هو متبادر فكانت لا غير محتاج لزيادتها في المعطوف اذ لا يتوهم عطفه على غير ما قبله فما نقله ابن عطية عن مكي ان دخول لا لدفع توهم عطف الضالين على الذين انعم الله عليهم توجيه بعيد فالحق ان لا مزيدة لتاكيد النفي المستفاد من غير على طريقة العرب في المعطوف على ما في حيز النفي نحو ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير قال السيد في حواشي الكشاف لئلا يتوهم ان المنفي هو المجموع فيجوز السماح بثبوت احدهما ولما كانت غير في معنى النفي اجريت عادة المعطوف على المنفى فى المعطوف عليها وليست زيادة لا هنا كزيادتها في نحو ما منعك الا تسجد اذ امرتك كما توهمه بعض المفسرين لان تلك زيدة لفظا ومعنى اذ المعنى على الاثبات والتي هنا زيادة لفظا فقط والمعنى على المنفي. والضلال المشي في غير الطريق المراد عن خطا سواء علم بذلك فهو يتطلب الطريق ام لم يعلم ومنه ضالة الابل وهو مقابل الهدى واطلاقه على الخطا في الدين والعلم استعارة كما هنا والضلال في لسان الشرع مقابل الاهتداء والاهتداء هو الايمان الكامل والضلال ما دون ذلك وله عرض عريض ادناه ترك السنن واقصاه الكفر وقد فسرنا الهداية فيما تقدم انها الدلالة بلطف فالضلال عدم ذلك ويطلق على اقصى انواعه الختم والطبع والاكنة

وقد التفت عن الخطاب الذي في قوله انعمت عليهم الى الغيبة في غير المغضوب عليهم لان الفعل المبني للمجهول يقدر له فاعل غير معين فهو في حكم الغائب إذ تقديره الذين غضب غاضب عليهم وهو من قبيل الغائب كما هو ظاهر وفائدة الالتفات هنا تجنب اسناد الغضب الى الله تعالى اكبارا لامر غضبه تعالى حتى لا يجري لفظه على اللسان وهذه نكتة خاصة لهذا الالتفات على ان الالتفات حسن الموقع في الكلام مطلقا كما تقدم في قوله تعالى اياك نعبد لا سيما اذا اشتمل على لطيفة وانما قدرنا المتلفت اليه اسما ظاهرا في الفعل المبني للنائب بناء على ما قدمناه من عدم تخصيص الالتفات بالضمائر بل الاسم الظاهر مثل ضمير الغائب يلتفت منه واليه لانه طريق من طريقي الغيبة .



باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء (*)

عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : « ما انزل الله داء الا انزل له شفاء »

قد تقرر وان الطب نوعان طب جسد وهو المراد هنا وطب قلب ومعالجته خاصة بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ان طب الجسد منه ما جاء في المنقول عنه صلى الله عليه وسلم (٢) ومنه ما جاء عن غيره وغالبه راجع للتجربة

التداوي وتركه قال حجة الاسلام الغزالي ان الذين تداووا من السلف لا ينحصرون ولكن قد ترك التداوي ايضا جماعة من الاكابر فقد روي عن أبي بكر رضي الله عنه انه قيل له لو دعونا لك طبيبا فقال الطبيب قد نظر الي وقال اني فعال لما اريد وقيل لابي ذر وقد رمدت عيناه لو داويتهما قال اني عنهما مشغول وقيل لابي الدرداء ما تشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال مغفرة ربي قالوا الا ندعو لك طبيبا قال الطبيب امرضني وقد ظهر من هذه المرويات وامثالها ان من السلف من ترك التداوي وراءه ومنهم من كرهه وربما يظن ان ذلك نقصان لانه لو كان ترك التداوي كمالا لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا يكون حال غيره في التوكل اكمل من حاله بل هو سيد المتوكلين

الصوارف عن التداوي قال حجة الاسلام ولا يتضح الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وافعالهم إلا بحصر الصوارف عن التداوي ثم اخذ في حصرها وبيان اسباب ترك بعض السلف للتداوي بما لا يخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخشية الاطالة نذكر هنا من الاسباب ما به الحاجة. السبب الاول ان يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بانه انتهى اجله وان الدواء لا ينفعه ويشبه ان يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوي من هذا السبب لانه كان من المكاشفين فانه قال لعائشة ام المومنين رضي الله عنها في امر الميراث انما هما اخواك واختاك وانما كان لها اخت واحدة وهي اسماء ولكن كانت امراته حاملا فولدت له ام كلثوم فعلم انه قد كان كوشف بذلك فلا يبعد ان

(*) ملخص من درس الحديث الذي القاه العلامة الشيخ محمد بن القاضي المدرس من الطبقة الاولى الحنفية ونائب الدولة لدى النظارة العلمية سابقا وذلك في رمضان عام ١٣٣٨ بجامع حمودة باشا حسب عادته السنوية

(٢) لابن خلدون ها هنا كلمات لا أتعرض اليها وارجو الله ان يسامحه فيها

يكون قد كوشف ايضا بانتهاء اجله او ان الدواء لا ينفعه والا فلا يظن به انكار التداوي وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوى وامر به . السبب الثاني ان يكون المريض مشغولا بحاله وبخوف عاقبته واطلاع الله تعلى عليه فينسيه ذلك الم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي شغلا بحاله وعليه يدل كلام ابي ذر اذ قال اني عنهما مشغول وكلام ابي الدرداء اذ قال انما اشتكي ذنوبي فكان تالم قلبه من ذنوبه اكثر من تالم بدنه بالمرض ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من اعزته او كالخائف الذي يحمل لملك من الملوك ليقتل اذا قيل له الا تاكل وانت جائع فيقول اني مشغول عن الم الجوع فلا يكون ذلك انكارا لكون الاكل نافعا من الجوع ولا طعنا فيمن اكل .

مذاهب الايمة في التداوي - مذهب الامام الاعظم قال النسفي : المروي عن ابي حنيفة ان التداوي مؤكد حتى يداني به الوجوب وفي الملتقى ان من ترك الاكل والشرب حتى هلك فقد عصى لان فيه القاء النفس الى التهلكة وانه منهي عنه في حكم التنزيل بخلاف من امتنع عن التداوي حتى مات اذ لا يتيقن بانه يشفيه وفي رد المحتار انما لم يكن التداوي فرضا لانه ظني في حصول الشفاء.

ومذهب امام دار الهجرة رضي الله تعالى عنه اشار له الشيخ ابو محمد بن ابي زيد في الرسالة فقال : ولا باس بالتعالج وشرب الدواء وعادته ان ياتي بلا باس في موضع ويستحب غالبا قال النووي في شرح مسلم ان فعل التداوي افضل من تركه وذلك مذهب الشافعي وجمهور السلف وعامة الخلف وفي شرح منظومة الآداب جزم في الاقناع والمنتهى بان مذهب احمد ان ترك التداوي افضل وانه لا يجب ولو ظن نفعه والعلاج رخصة وتركه اعلا درجة منه لما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون قال في الافصاح الذي ذهب اليه اكثر فقهاء الحنابلة ترجيح افضلية التداوي واجيب عن الحديث بانهم كانوا في الجاهلية يسترقي الرجل بالكلمات الخبيثة فيوهمه الراقي في ذلك وفي الكي انهما يمنعانه من المرض ابدا فذلك الذي منع منه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ادلة افضيلة التداوي - قال في الافصاح الحجامة سنة وهي اقوى دليل على فعل التداوي واورد احاديث كثيرة تدل على ان فعل التداوي اولى من تركه فقد قال صلى الله عليه وسلم عباد الله تداووا فان الله لم يضع داء الى وضع له شفاء او دواء الا داء واحدا قالوا يارسول الله وما هو قال الهرم رواه ابو داود والترمذي وصححه وفي مسند الامام احمد عن عروة ابن الزبير عن خالته عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرت اسقامه فكان يقدم عليه اطباء العرب والعجم فيصفون له فنعالجه وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عله وسلم اذا مرض احد من اهله نفث عليه بالمعوذات فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت انفث

عليه وامسحه بيد نفسه لانها اعظم بركة من يدي ومن الادلة ايضا ما اخرجه امام دار الهجرة في الموطا عن زيد بن اسلم مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجلين ايكما اطب قالا يا رسول الله وفي الطب خير قال انزل الداء الذي انزل الدواء ومنها حديث الباب وهو قوله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله داء الا انزل له شفاء

شرح حديث الباب قال العلامة العيني وهو رد على الصوفيه في قولهم ان الولاية لا تتم الا اذا رضي بجميع ما نزل به من البلاء ولا يجوز له مداواته قال في الكواكب شرحا للحديث اي ما اصاب الله احدا بداء الا قدر له دواء او المراد بانزاله انزال الملائكة الموكلين بمباشرة مخلوقات الارض من الدواء والداء قال الشهاب القسطلاني فعلى الاول المراد بالانزال التقدير وعلى الثاني انزال ذلك على لسان الملك للنبي مثلا او الهام لغيره وقال ابو يحيى زكريا الانصاري المراد بالانزال التقدير وبالشفاء الدواء لانه سببه فهو من اطلاق المسبب على السبب وبه عبر في خبر مسلم

وقد اجمع الكاتبون على ان الحديث ليس على عمومه فقد استثني منه الموت والهرم واختلف الاصوليون في العام بعد التخصيص هل هو حقيقة في الباقي او مجاز فذهب جمهور الحنفية والحنابلة الى انه حقيقة مطلقا وهو الذي جنح اليه ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات وذهب الجمهور من الاصوليين الى انه مجاز واختاره ابن الحاجب في الاصول .

العام المخصوص حجة قال ابن السبكي في شرح المنهاج من يقول ان العام المخصوص حقيقة احتج به لا محالة واما الخلاف في الاحتجاج به فهو مبني على القول بانه مجاز ومثل هذا نقله عنه الجلال المحلي قال العلامة في الآيات وفيه نظر لان المعنى الذي تمسك به من نفي الحجية مطلقا من انه يشك فيما يراد منه لاحتمال ان يكون قد خص بغير ما ظهر موجود بتقدير كونه حقيقة ايضا ولا يخفى ان ظاهر كلامهم ان الخلاف جار على القول بانه حقيقة وبانه مجاز

ومحمل هذا الخلاف ان الشافعي يقول ان العام المخصوص حجة ظنية وهو ما اختاره صدر الشريعة في التوضيح وقيل حجة قطعية كما كان قبل التخصيص وقيل لا يبقى حجة وتفصيله في الاصول

اشكال الشاطبي قال ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات يلزم على هذا الاختلاف خطر عظيم لان غالب ادلة الشريعة وعمدها العمومات فاذا عدت مسألة كون العام حجة بعد التخصيص من المسائل المختلف فيها صار معظم الشريعة مختلفا فيه هل هو حجة اولا ومثل ذلك لا يليق

مذهب الشاطبي في العام ثم اختار في العام مذهبا مخترعا وبناه على اعتبار الوضع الاستعمالي في العام ويحتاج الى تمهيد مقدمة وهي ان الشارع لما كان قصده ضبط الخلق بالقواعد العامة وكانت العوائد اكثرية لا عامة وكانت الشريعة موضوعة على ذلك الوضع كان من الامر الملتفت اليه اجراء

القواعد على العموم العادي لا على العموم الكلي التام الذي لا يتخلف عنه جزءي ما ولا كلام في ان للعموم صيغا والنظر فيها مخصوص بعلماء العربية وانما النظر في الاصول الى امر آخر وهو ان نقول ان للعموم الذي تدل عليه الصيغ نظرين احدهما ما تدل عليه الصيغة في اصل وضعها على الاطلاق والى هذا جنح الاصوليون ولهذا يقع التخصيص عندهم بالعقل والحس والثاني بحسب المقاصد الاستعمالية التي تقضي العوائد بالقصد اليها وان كان اصل الوضع على خلافها وهذا الاعتبار مقدم على اعتبار اهل الاصول لما تقرر في العربية من ان الاصل الاستعمالي اذا عارضه الاصل القياسي كان الحكم للاستعمالي

اطلاقات العرب للعام وبيان ذلك ان العرب تطلق الفاظ العموم بحسب ما قصدت تعميمه مما يدل عليه معنى الكلام دون ما تدل عيه تلك الالفاظ بحسب الوضع الافرادي كما انها قد تطلقها وتقصد بها تعميم ما تدل عليه بحسب اصل الوضع وكل ذلك مما يدل عليه مقتضى الحال

وذلك لان المتكلم قد ياتي بلفظ عموم مما يشمل بحسب الوضع نفسه وغيره وهو لا يريد نفسه ولا يقصد انه داخل في مقتضى العموم كما في قوله من دخل داري اكرمته فليس المتكلم بمراد وقد يقصد صنفا مما يصلح اللفظ له في اصل الوضع دون غيره من بقية الاصناف كما في قولنا اكرمت الناس او قاتلت الكفار والمقصود له من لقي منهم وقد يقصد ذكر البعض في لفظ العموم ومراده من ذكر البعض الجميع كما في قولنا فلان يملك المشرق والمغرب والمقصود له جميع الارض ومنه قوله سبحانه وتعلى رب المشرقين ورب المغربين وقوله جل اسمه (وهو الذي في السماء الاه وفي الارض الاه)

وعلى هذا لا يدخل شيء من صفات الباري تعلى تحت الاخبار في نحو قوله جل وعلا خالق كل شيء لان العرب لا تقصد ذلك ولا تنويه وكذلك قوله سبحانه وتعالى والله بكل شيء عليم لا يدخل عليه بنفسه وصفاته وان كان عالما بهما لان الاخبار انما وضع عن جميع المحدثات وعلمه بنفسه وصفاته شيء آخر والدليل على صحة هذا المعنى هو انه لا يصح الاستثناء في هذه المقامات فلا يقال من دخل داري اكرمته الا نفسي ولا قاتلت الكفار الا من لم القه منهم وانما يصح استثناء غير المتكلم ممن دخل الدار وممن لقيت من الكفار وهو الذي يتوهم دخوله لو لم يستثن وهذا هو كلام العرب في التعميم وهو بنفسه جار في عمومات الشريعة

ملخص مخترع الشاطبي والحاصل ان العموم انما يعتبر بالاستعمال ووجوه الاستعمال كثيرة ولكن ضابطها مقتضيات الاحوال التي هي ملاك البيان فان قوله سبحانه وتعالى تدمر كل شيء بامر ربها لم يقصد به انها تدمر السماوات والارض ولا الجبال ولا المياه ولا غيرها مما هو في معناها وانما انها تدمر كل شيء مرت عليه مما من شانها ان تؤثر فيه على الجملة

معنى الحديث على ما تقدم قلت وبناء على ما قررناه يمكن ان يقال ان المراد من الداء في حديث الباب الداء الذي من شانه ان يوثر فيه الدواء عادة فلا يعم الموت والهرم وما قضت العادة بان لا دواء له ثم رايت الحافظ ابن حجر قرر هذا المعنى الا انه اثبته من غير هذا الطريق فانه قال في جواب سؤال حاصله ان عموم الحديث يشمل الداء القاتل الذي اعترف حذاق الاطباء بانه لا دواء له واقروا بالعجز عن مداواته يمكن ان يكون في الخبر حذف تقديره ما انزل الله داء يقبل الدواء الا انزل له شفاء . يتبع

التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصلح الامام الشيخ محمد الحجوي
وزير معـارف الحكومة المغربية الشريفـة

٦

٣٥ ـ علم التفسير

نص الامام الفخر الرازي على ان تفسير الآية اذا كان غير مطابق للمعقـول فانه مـردود على صاحبه وكيف لا والقرءان إنما أقام الادلة على خصومه والجهم بالعقل (١) وقد تكرر فيه ـ افلا تعقلون ـ بضع عشرة مرة وقال وما يذكـر الا اولوا الالباب وقال كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون فكيف يمكن ان يخالف المعقول . هذا كلامه وقد علمت ان المراد بالمعقول ما قامت عليه ادلـة قاطعة مسلمة لا إمكان للطعن فيها وليس المراد بالمعقول ما ترجح في عقـل فرد او جماعة لما اعتقدوه دليلا ربما لا يسلمه لهم غيرهم ولا تنهض به حجة قاطعة او تتغير الفكرة بتغير الازمان فذلك من قبيل المظنون وان تيقنه فرد او جماعة

٣٦ ـ الفروع الفقهية

إنني قد استقرأت كثيرا من الفروع المتفق عليها ومن فروع المالكية وغيرهم فلم أجـد فرعا واحدا يناقض العقل ويصادمه بل اما أن تجد العقل يدل عليه كما دل عليه الشرع ايجابا او تحريما كطاعة اولى الامر في المعروف وبرور الوالدين وتحريم قتل النفس بغير حق. أو تجده غير معارض فيه كالصلاة فإن الدين يوجبها والعقل لا يعارض في ذلك بل مهما علم انها في كل ركعه تذكر في اليـوم الاخير الذي ينشا عن الايمان به كل فضيلة ندب اليها واستحسنها ، وكالزكاة فان الشرع اوجبها والعقل ندب اليها لما فيها من الرفق بالانسان والرحمة به وتسكين ثورات الفقراء ضد الاغنياء وتقليل ذوي البؤس والبطالة وهكذا كل ما اوجبه الشرع من صوم وحج او ندب اليه كالنكاح الذي هو تكوين العائلـة النزيهة والوقف على الوجوه الخيرية وغير ذلك الا وتجد العقل بعد اطلاعه على الحكمة التي قصدها الشارع استحسن ذلك ولم يعارض فيـه كما ان كل ما منعه الشرع كالزنا وشرب الخمر وأكل الخنزير والربا والسرقة والغصب والخيانة والحرابة والبغي كل ذلك يمنعه العقل اذا اطلع

---

(١) وقد نبهنا الله في القرءان الى التمسك بالعقل الصحيح تسعة واربعين مرة بقوله وما يعقلها الا العالمون . لو كنا نسمع او نعقل. وامثالها هذا بلفظ العقل او ما اشتق منه ونبهنا في ءايات اخر الى معناه بنحو قوله (افلا يتدبرون القرءان ام على قلوب اقفالها) . (افلم يدبروا القول) . (ليدبروا ءاياته وليتذكر اولوا الالباب) وغيرها كثير

على حكمته : وتتبع ذلك محله كتب الفروع فاذا تتبعت ذلك وجدته كله جاريا على هـذا الاصل فاما ان يحكم العقل بنفس الحكم الذي يحكم به الشرع أو بما يقاربه ولا يعارضه ولا يضاده : وليس هذا من التحسين والتقبيح في شيء اما القسم الثالث وهو ما يوجبه الشرع ويحرمه العقل القاطع أو العلم الصحيح او يعارضه فيه فهذا ما لا يوجد بحال بل المعاضدة تامة والشريعة ملئى من احكام فيها خير كثير للمجتمع لا توجد في شرائع اخرى كالنظافة الـتي في الطهارتين والسواك وستر العورة وابعاد مجتمعات النساء عن مجتمعات الرجال وغير ذلك

دفع ما يوهم المعارضة لهذا الدليل

ا ـ حرمة الربا ـ زعموا انه لا غنى لامة عنه وانه من اسباب التقدم والرقي وان الامم المتمدنة ما توصلت للاعمال الكبيرة الا بالبنوك . ونحن نقول قد تبين بالكاشف أن مضاره أربت على منافعه كالخمر الضار بالمال والعقل والتناسل والاخلاق والبدن مع منافعه ، وقد خربت ديار وأفلس كثير من الاغنياء في العالم بسبب الربا ولولاه لكانوا في حالة متوسطة وغنى ليس بالمفرط ولا فائدة في تقدم سريع ثم هبوط سريع والاسلام اختار قاعدة الاعتدال في جل الشئون وهل اوجب الازمة السوداء الحالة بالعالم الا ان الانتاج فوق الاستهلاك بسبب كثرة رؤوس الاموال بالبنوك والربا والاوراق المالية وفي امكان المسلمين ان يتوصلوا الى كل الاعمال النافعة كيفما كانت مع تجنب الربا ولو اتفق العالم كله على تركه ما وقع في مشاكله المظلمة الحالية

ب ـ حرمة الخنزير ـ قالوا الخنزير حيوان كالنعم لكن تبين طبيـا ان تحريمه من نعم الله على المسلمين والاسرائليين لذلك لا توجد بينهم امراض لا انفكاك عنها لمن ياكله

ج ـ الختان ـ تبين طبيا ان فيه مصلحة كبرى نظافة وصحة يتمتع بها المسلمون والاسرائليون لا توجد عند من لا يفعله على انه عند اكثر المسلمين سنة للذكور مستحب في البنات ويفعلونه في سن الطفولية مع التسهيلات الطبية العصرية فلا يوجد فيـه اي ضرر أو تمثيل او خطر غالبا فلو فرضنا ان طبيبا اشار على من به مرض بتجنبه ما الزمته به قواعد الشرع لانه تكميل ولم يثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم امر سلمان الفارسي بالختان ولا فيروز ولا غيرهما من أبناء فارس أو النصارى الذين أسلموا على عهده صلى الله عليه وسلم وهم كبار السن لكونه سنة فقط واما اعتراضهم بانه مثلة فهو مما يوجب عدم الالتفات

د ـ تعدد الزوجات ـ قد تبين ان منافعه اكثر من مضاره بكثير حتى ان كثيرا من الامم تريد إدخاله في تشريعها وانما يمنعهم الخروج عن المالوف اذ به يقل الزنا والموبقات الناشئة عنه ويكثر النسل ويقل الايامى والعوانس . ثم الاسلام ما ألزم احدا بالتعدد نعم اباحه بشرط العدل وقـد قال

في العدل ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فهو وان أباحه فقد حذر مما ينشأ عنه وما اباحه الا لما عسى ان تدعوا اليه الضرورة كعقم الزوجة او مرضها او كراهيتها لكثرة الوقاع مع قوة الزوج او كبر سنها وصغر الزوج. ثم البوادي هم في اضطرار اليه لتتعاون الازواج على شئون البادية من حلب الماشية والطحن والخبز وغيـر ذلك لعدم توفر المرافق الحضرية فتجد الزوجة تتمنى ان تكون لها ضرات تعاونها وقد كاد تعدد الزوجات ان يضمحل من مدن الاسلام وانما هو منتشر بالبوادي حيث انعدمت الغيرة من نسائهم لجريان العادة به تقريبا . فالذين اعترضوه ليس اعتراضهم من جهة أمر عقلي اتفقت الامم والعقول على استهجانه وانما اعترضوا بما اعتادوا . وكثيرا ما ياتي الغلط من جهة العادة يعتادها الانسان حتى يظن أن أحدا لا يخالفه فيها وان العقل يحكم بها وليس الا العادة فليذهبوا للبادية ليعلموا . وعلى كل حال الشريعة فتحت باب الجواز لما عسى أن تدعو اليه الضرورة ولا سبيل لنا الى تغيير الشرع وسد الباب في وجه محتاج

هـ — الطلاق ـ كذلك تبين أن مصالحه اكثر من مضاره ولا سيما اذا لم تتوافق اخلاق الزوجين وهو ايضا انما ابيح للضرورة لاراحة احد الزوجين او هما وقال فيه عليه السلام ابغض الحلال الى الله الطلاق

و — الحجاب ـ ليس من مبتكرات الاسلام بل كان عند امم قبلنا فتناساه احفادها الرومان واليونان بمثل ما عندنا الآن أو اكثر قبل الاسلام بنحو الف سنة وقد شاهدنا ما فيه من مصالح اربت على مضاره ونساؤنا والحمد لله راضية به متمسكة بشريعته على ما وقع فيه من التطرف وزيادة التضييق في المدن باحتجاب المراة عند الخروج كلها الا قليلا منهن لاعتيادهن ذلك ولو كانت من القواعد اللاتي رخص الله لهن في تركه(١) ولما فيه من الصون والعفاف وراحة الضمير عند الرجال والنساء معا مع سدل حجاب الهيبة والحرمة وقلة الجرائم المتسببة عن السفور لان النساء محل الشهوة وابداء زينتهن مثارها ومهيج لها ورفع حجابهن موجب لكل مشكلة وقع فيها من رفعوه وان كان الوجه والكفان قد اتفق من يعتد به على انهما ليسا بعورة ولا يجب سترهما الا من امراة يخشى عليها الفتنة عند من ياخذ بسد الذرائع كمالك وقد تركه البوادي لعدم الفتنة غالبا لبعد ما بين الديار وعدم التزاحم الذي في المدن وليس الحجاب بمانع للمراة من العلم والتهذيب ولا هو السبب في وصول المراة المسلمة الى هذه الدرجة التي هي فيها من الانحطاط الفكري وانما هي العوائد . ولم تكن هكذا في صدر الاسلام . وكان الحجاب مسدولا باعتدال وكانت المراة تضاهي الرجل في المعارف وتشاركه في السياسة

(١) قال تعالى والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن (الآية)

والغزو والاقتصاد وكفى بسيرة ازواجه صلى الله عليه وسلم الطاهرات اذ كن مرجع العلم والراي . والاجماع على ان المراة في اخذ العلم مع الرجل سواء والمسألة لها بسط في كتابي — تعليم الفتاة لا سفور المراة — وقد نشر مرة بعد اخرى ثم ان خروجها لطلب حقوقها والتصرف في شؤونها وطلبها للعيش ولتجارتها كل ذالك لا يمنعها منه احد وانما الواجب حفظ الكرامة وعدم التبرج مع الصون والعفاف .

وبالجملة لا ينازع العاقل في كون الحجاب اصون للنسل وارقى حالا في شرف العائلة لاكنا نعترف بان التطرف فيه الى حد منع المراة من العلم والتهذيب مضر وليس من الشرع في شيء ونعلم ان جل التطرف وقع من النساء انفسهن اوجبته العادة وحب المحمدة والتحري لدينهن والورع وجزاهن الله خيرا ليتنا تركناهن وشانهن . وها هم دعاة الاباحة والفسق والسفور يتطرفون في رفعه لا نامت اعينهم . ونقول ايضا الاسلام لم يعامل المراة معاملة المجرم بالسجن كلا بل في البخاري ومسلم مرفوعا ان الله اذن لكن ان تخرجن لحاجتكن وفيه ـ لاتمنعوا إماء الله مساجد الله ـ فهي غير مسجونة وانما في الاسلام حجز لها عن الفاحشة وصون الاخلاق ان تسقط فيما يفسد النسل او يدخل الريب او يفسد السمعة ويشين الاعراض وان يرث الاب من ليس ابنا له بل المراة المسلمة في امورها المالية اكثر حرية من المراة الاروبية يعلم ذلك طلبة الحقوق ولو نفذت وصايا الشرع واحكامه في المراة على وجهها لكانت اسعد من نسوة جميع الامم فكثير مما يشاهد من التضييق على المراة نشأ من العوائد الخارجة عن نطاق الشريعة او من آراء مذهبية مستندة الى افكار خاصة ولا مسئولية على القرءان كما ان طلب تحرير المراة وقع من الرجال المحبين للاباحة اما نساؤنا فهن راضيات عن الحالة الحاضرة ولقد ندم المتدينون من دعاة السفور في مصر والشام وغيرهما وعلا الصراخ بالتضايق من المنكرات وان المراة اعطيت سلاح السفور لتتقدم نحو الفضيلة فتاخرت نحو العهر والاباحة وانحلال الرابطة العائلية التي هي امتن من روابط جميع الامم وندم الدعاة ولات حين مندم وارجو ان لا يقع المغرب في زلة المشرق المقلد لاروبا المتضايقة من جور نسائها

ز — اعطاء نصف الميراث لغالب النسوة هذا شيء لايعارض فيه العقل لانا رأينا كل امة تدين بالعقل تختار في تشريعها ما يوافق عقليتها فالاسلام جعل المرأة ربة البيت وحاكمته والقيمة على الاولاد ومحل النسل الطيب لتتكون امة طيبة راقية واوجب على الرجل شيئا كثيرا من الانفاق والتكاليف فجعل له في الميراث ما يكون في مقابلة ما كلف به من ذلك ومن الدفاع في الحرب والقيام بالامور العسكرية ونحو ذلك فليس هناك ظلم على المرأة اصلا والله يقول ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن

يتبع



التاريخ واهميته واوليته (٢)

من تحريرات العلامة المؤرخ فرع الدوحة النبوية
الشريفة سيدي عبد الرحمان زيدان نقيب السادة
الاشراف بالمغرب الاقصى وكبير العائلة المالكة

لولا التاريخ لم تنكشف هذه الحقائق ، ولولاه لم يبلغنا ما كانت عليه الامة العربية التي نمت اليها بصلة الوصل من الشفوف وبعد النظر واصالة الراي ، ولولاه ما ادركنا شيئا من نعوتها وكمالاتها الجمة . ولولاه لم نطلع من اخبارها على نظير ما حكاه الحافظ الكلاعي في اكتفائه والحافظ ابو الفرج ابن الجوزي في كتاب الاذكياء والقاضي ابو الحسن الماوردي في كتاب اعلام النبوءة من ان جد العرب اليمنية وهو نزار بن معد بن عدنان كان له اولاد اربعة : مضر وربيعة واياد وانمار . فلما حضرته الوفاة اوصاهم وعين لهم ما يحوزه كل واحد مما يخلفه من المال حيث قال لهم : يا بني هذه القبة الحمراء وما يشبهها من مالي هي لمضر ، وهذا الخباء الاسود وما يشبهه لربيعة ، وهذه الخادمة وما يشبهها لاياد ، وهذه البدرة والمجلس وما اشبههما لانمار ، فان اختلفتم في شيء من ذلك فعليكم بملك نجران وهو الافعى الجرهمي . ثم لما مات اختلفوا في ذلك فتوجهوا الى ملك نجران ليفصل بينهم ، فبينما هم يسيرون اذ راى مضر كلأ قد رعي فقال ان البعير الذي رعى هذا الكلاء لاعور . وقال ربيعة هو أزور . وقال اياد هو ابتر . وقال انمار هو شرود . فلم يسيروا الا قليلا حتى لقيهم رجل فسألهم هل رأوا بعيرا له فقال مضر هو اعور ؟ فقال الرجل نعم ، وقال ربيعة هو ازور ؟ فقال الرجل نعم ، وقال اياد هو ابتر ؟ فقال الرجل نعم ، وقال انمار هو شرود ؟ فقال الرجل نعم هذه والله صفات بعيري فدلوني على محله ، فقالوا والله ما رايناه ، فقال قد وصفتموه بصفاته ، فكيف تقولون انكم لم تروه ، فارتفع معهم الى ملك نجران ليفصل بينهم وبينه في بعيره الذي وصفوه وانكروا رؤيته . فلما نزلوا على الملك ناداه صاحب البعير وقال هؤلاء اصحاب بعيري وصفوه لي بصفاته وقالوا لم نره ، فقال لهم الملك : كيف لم تروه وانتم قد وصفتموه ؟ فقال مضر رايته يرعى جانبا ويترك آخر فعرفت انه اعور ، وقال ربيعة رايت احدى يديه ثابتة الاثر والاخرى فاسدة الاثر فعرفت انه افسده بشدة وطئه لازوراره ، وقال اياد رايت بعيره مجتمعا فعرفت انه ابتر اذ لو كان ذيالا لمصع به ، وقال انمار رايته يرعى المكان الملتف ثم يتخطاه لغيره فعرفت انه شرود .

فلما سمع الملك اجوبتهم هـذه قال للرجل انهم ليسوا باصحاب بعيرك فاطلبه في غيرهم ، ثم سألهم عنهم فاخبروه انهم بنـو نزار ، فقال اتحتاجون الي وانتم كما ارى ؟ ثم دعى لهم بطعام وشراب فاكلوا وشربوا ثم قال مضر : لم اركاليوم خمرا اجود لولا انهـا نبتت على قبر . وقال ربيعة : لم ار كاليوم لحما اطيب الا انه ربي بلبن كلبة ، وقال انمار : لم اركاليوم خبزا لولا ان التي عجنته حائض ، وقال اياد لم ار كاليوم رجلا اسرى لولا انه يدعى لغير ابيه . وكان الملك قد وكل بهـم من يسمع كلامهم فاخبره بما سمع ، فدعا الملك صاحب شرابه وقال له الخمـرة التي جئت بها ما قصتها ؟ قال من كرمة غرستها على قبر ابيك لم يكن عندنا شراب اطيب من شرابها . ثم دعى الراعي فسأله عن الشاة التي اكل لحمها ما قصتها ؟ قال هي شاة ماتت امها فارضعناها من لبن كلبة ولم تكن عندنا شاة اسمن منها . ثم دعا عاجنة الخبز فاخبرته انها حائض . ثم سأل امه عن ابيه فاخبرته انها كانت تحت ابيه الذي يدعى اليه وهو ملك لا ولد لـه فكرهت ان يذهب الملك من دارها بموته فامكنت رجلا من نفسها كان نزل به فحملت منه فهو ابوه . فعجب الملك اذ ذاك مما اهتدى اليه ضيوفه ابناء نزار فدس اليهم من سالهم عن علمهم بما قالوا ، فقال مضر علمت انها خمر قبر من كون شان شرب الخمر ذهاب الغم وهذه ادخلته علينا بشربها . وقال ربيعة علمت انها شاة رضعت لبن كلبة لان شان لحوم الانعام ان يكون الشحم فوق اللحم والكلب بخلاف ذلك . وهذا اللحم وافق الكلب في ذلك فعلمت انه اكتسب ذلك من اللبن وقال انمار علمت انه عجين حائض من عدم انتفاشه حين فت وشان الخبـز الذي لـم يعجنه حائض الانتفاش حين يفت ، وقال اياد علمت ان الرجل يدعى لغير ابيه لاني رايته صنع لنا طعاما ولم ياكل معنا فعرفت ذلك من طباعه لان اباه لم يكن كذلك فرفعت اجوبتهم الى الملك فازداد عجبه ثم دعاهم وقضى بينهم فيما اختلفوا فيه وانصرفوا .

فلهاذا وشبهه مما استفيض من قوة ذكاء العرب ورجحان عقولهم قضى لهم على غيرهم غير واحد من غير اهل جلدتهم كباقعة الفرس الاسلاميين ابن المقفع المشهور بكمال المعارف والاقتدار اذ قال : ان امة العرب اعقل الامم لانها حكمت على غير مثال مثل لها اذ هم مـع كونهم اصحاب ابل وغـنم وسكان شعر وادم يجود احدهم بقوته ويتفضل بمجهوده ، ويشارك في ميسورها ومعسورها ، ويصف شيء يعقله فيكون قدوة ، ويفعله فيصير حجة . ويحسن ما شاء فيحسن ، ويقبح مـا شاء فيقبح ، ادبتهم نفوسهم ، ورفعتهم هممهم . واعلتهم قلوبهم والسنتهـم . فمن وضع حقهم خسر ومن انكـر فضلهم خصم

ولنقتصر الآن على هذا القدر من فضل العرب التاريخي لئلا يقال مادح نفسه يقريك السلام . على ان ذلك لا يقال . فيما هو كالتاريخ مجرد انقال . فالتاريخ مادة كبرى تمد المعتنين بقـوة النقد والادراك وتهديهم الى الاتيان بالمستدركات الادبية والفوائد الخاصة التي ترقي حواشي الانسان وتهبه

معرفة اخبار الماضين وتلقنه دروس الذكاء والعبرة المزدوجة بحوادث من تقدمه فيضيف بذلك كما قيل – واومانا اليه – اعماراً الى عمره فتراه يشارك في المعرفة من تقدمه بآلاف السنين كانه حاضر معهم في كل حين .

اذا عرف الانسان اخبار من مضى توهمه قد عاش من اول الدهر
وتحسبه قد عاش ءاخر دهره الى الحشر إن ابقى الجميل من الذكر

كان كتبة التاريخ ومدونوا اسفاره القديمة يقسمون التاريخ تقسيما يرجعون اصوله الى نشاة امم قديمة كالعرب والفرس والروم والقبط ، ولكن نهضة العلوم الاجتماعية وتوفر البحث في اصول الامم ودرس مسائلها وتطوراتها اسدل ذيلا وارفا من كثرة الاطلاع وفيوض المعرفة على علم التاريخ ، فامست التقاسيم وهي اكثر ما تكون اتساعا وضبطا وترتيبا ، وبات التاريخ البشري وهو فن متحد ترجع اليه الامم كلها على اختلاف مللها ونحلها في الاستضاءة بانواره ، كل على قدر حظه من العلم ونسبته من التاريخ نفسه ومن شئونه المتفرعة عنه وحوادثه التي تكثر وتقل بحسب الادوار التي لعبتها الامة تقدما وتقهقرا .

هذا التاريخ عند العرب – واليه يساق الحديث – قد استمد نظامه الاول من القرءان مادة كل شيء وأصل كل فن وعلم ، ففيه : ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والارض ، وهي المعروفة باسمائها العربية التي اولها المحرم وءاخرها ذو الحجة ، وعلى ترتيبها وعدم الزيادة والنقص فيها استمر الحال الى ان رسم سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام الحج في عاشر ذي الحجة فصارت العرب بعده تقف في حجها عند حد ما رسمه ابوهم ابراهيم فيه ، وكان الحج لاجل ذلك ياتي في الفصول كلها فيجد اهل مكة على ما هم عليه من الخصاصة وضيق المعيشة حرجا ، فكانوا لاجل ذلك يتضررون باتيان الحج في غير ابان الغلال والمياه فنشا من ذلك ان قامت العرب بشورى فيما بينهم اشار عليهم فيها رئيسهم وخطيبهم اذ ذاك بتخصيص وقت الحج بفصل وجود الغلال والمياه من كل سنة .

وكان اول من انسأ الشهور من مضر مالك بن كنانة ، وكان ءاخر ناسيء منهم ابو تمامة جنادة ابن عوف بن امية بن عبد كما للازرقي نقلا عن الكلبي ، وكان ذلك من جملة تعاليم املتها رعونات الجاهلية فاقدموا عليها وزحلقوا الشهور عن محالها فاخروا المحرم الى صفر وصيروا صفرا الى اول الربيعين وهكذا ، فهذا اصل نسيئهم الى تاخيرهم بعض الشهور او زيادتهم في عددها المنبه على نعيه عليهم وذم صدورها منهم في قول الله تعالى : انما النسيء زيادة في الكفر الآية ، واستمر حالهم على هذا مدة من مائتين اثنتين وعشر سنين او عشرين سنة الى سنة حجة الوداع وهي العاشرة من الهجرة النبوية فاتفق فيها رجوع الحج الى ما كان رسمه فيه الخليل عليه السلام وهو عاشر ذي الحجة فقام

فيها نبينا صلى الله عليه وسلم خطيبا منبها على رجوع الحج لاصله وعلى تغييره بعد بقوله : الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والارض .

هذا وغني عن القول ان تاريخنا تبتدىء مادته العامرة من هجرة النبيء صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وقد كانت العرب تؤرخ ايامها ووقائعها كالامم القديمة بالحوادث والحروب . واذا عرض لنا بحث ايها السادة المستمعون في اول من ارخ فاولاد آدم عليه السلام لصلبه كما نقله ابن عساكر في تاريخه عن الشعبي وذلك انه لما هبط آدم من الجنة وانتشر بنوه في الارض ارخوا من هبوطه فكان ذلك هو التاريخ حتى بعث الله نوحا فارخوا من بعثته الى ان كان الطوفان وغرق من غرق ونجا نوح ومن معه فارخوا من حادثة الطوفان . ثم لما كثر بنو اسماعيل وافترقوا ارخ بنو اسحاق من نار ابراهيم الى مبعث يوسف ومن مبعثه الى ملك سليمان ومن ملكه الى مبعث عيسى ابن مريم ومن مبعثه الى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وارخ بنو اسماعيل من نار ابراهيم الى بناء الكعبة المشرفة الى ان تفرقت معد فكان كلما خرج قوم من تهامة جعلوا التاريخ من خروجهم . ومن بقي بتهامة يؤرخ من خروج سعد ونهد وجهينة بني زيد من تهامة . ثم ارخوا من موت كعب بن لؤي الى عام الفيل ومضى التاريخ على ذلك الى ان ارخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة او ثمان عشرة من الهجرة . وعن ابن عباس قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وليس لهم تاريخ ومضت ايام ابي بكر واربع سنين من خلافة عمر على هذا ثم وضع التاريخ . وروى الحاكم في الاكليل من طريق ابن جريج عن ابي سلمة عن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة امر بالتاريخ فكتب في ربيع الاول . وهذا معضل والمشهور خلافه كما في الفتح . ونحوه للابياري نقلا عن المحب الطبري واختلفوا في سببه قال ميمون بن مهران وقع الى عمر صك في شعبان يعني غير معين فقال عمر : اي شعبان ؟ اهذا الذي مضى او الذي هو ءات او الذي نحن فيه ! ؟ ثم جمع الصحابة من المهاجرين والانصار وقال لهم ضعوا للناس شيئا يعرفون به سنيهم وبعد تبادل ءاراء وافكار وانظار اتفقت كلمتهم على ان يكون من الهجرة . وفي رواية عن سعيد بن المسيب ان الذي اشار على عمر بالتاريخ بالهجرة هو علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه ، كما اجمعوا على ان يكون فاتحة العام المحرم لكونه منصرف الناس من حجهم ، ولان ابتداء العزم على الهجرة كان في المحرم اذ البيعة وقعت اثناء ذي الحجة وهي مقدمة الهجرة ، ولانه اول الاشهر الحرم . واختاره ايضا علي كرم الله وجهه وقال : لانه اول السنة . وفي الفتح انه يستفاد من الآثار ان الذي اشار بالمحرم عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وكان ذلك لسنتين ونصف من خلافة سيدنا عمر وكان وقوع اختيار الصحابة رضوان الله عنهم على التاريخ بالهجرة لانها وقت استعلاء الاسلام ومبدا توالي فتوحه للانام والتفرقة بين الحق والباطل . وقد اهتدوا باشارة القرءان في قوله تعالى : لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق

ان تقوم فيه . وهو يوم قدومه صلى الله عليه وسلم مهاجرا المدينة . فلنقتصر الآن عليه طبق ما شرطناه

ومما سبق تعلمون ان اهمية التاريخ عظيمة لها المحل الاقعس من بين العلوم العمرانية التي بها حياة البشر حياة منظمة . واحر بالاشياء اذا لحقها نظام ان يكون حليفها الاسعاد والتمام .

واوجه كلمتي الخالدة الى عموم شعبنا العزيز وعلى الاخص الشباب : الشباب الذي هو عماد المستقبل ومحور دائرة النهوض ، الشباب المتوقد حماسة واشرئبابا الى العلا والامام ، الشباب المتحمل لاعباء الاجتهاد والدؤوب ، الشباب العربي المغربي الذي ورث العزة والشرف عن اجداده الاكرمين . الى هؤلاء اوجه كلمتي حاثا لهم على درس التاريخ المجيد ليضيفوا اعمارا عزيزة الى اعمارهم ويكرعوا من حياض السمو ما يكفل لهم النجاح حتى اذا علوا ونهلوا من هذا المنهل الزلال رفعوا عقيرتهم وتاهو فوق عرش الخلود !

فلو تدبر النشء المغربي ورجع بصره الى قرون سالفت لالفى الفحول الافذاذ من المحدثين والفقهاء والادباء وغيرهم من طبقات العلماء ، علاوة على ما حصلوا عليه من مختلف الفنون لا يستغنون عن التاريخ . اذ كيف يكون محدثا وهو غير مؤرخ غير عالم بسيرة سيد البشر صلى الله عليه وسلم وبحياة الخلفاء وعظماء الرجال وطبقات الرواة والمحدثين ؟ وكيف يكون فقيها وهو غير مؤرخ ، غير متقن لسبقية هذا على ذاك مما يؤهله لان يكون في مصاف المفتيين ؟ والاديب ، لا يكون اديبا بحق لا يكتب له اسم بين اسماء الادباء ما لم يتشبع بالتاريخ وجزئياته وما لم يركض ركض المجلي الخبير ، - ايها السادة - بدرسنا للتاريخ تتجلى لنا فضائح فظائع صدرت من اجلاء انتجت لهم عن تأخرهم في درس التاريخ .

ولكن الشيء الذي يجب التنبه له : انكم تعلمون ان التاريخ مادة كجميع المواد لعبت فيها الايدي ما شاء لها الغرض . فهناك مترجم هضم حقه وزحزح عن مرتبته بسبب جرة قلم قضت عليه بالموت التاريخي والسقوط المبين . وهناك مؤرخ لم يراع الا ولا ذمة فسود صحائف كما سولت له نفسه فورثها عنه الخلف بدون ترو ولا امعان ، فالاغراض الشخصية لعبت دورها الواسع الرحب في هذا . ومن هنا اخترع علم النقد الذي يميز الزائف من الجيد ، فينبغي للشباب ان يقيس بقسطاس مستقيم وان لا يندفع اندفاعا يورده اقبح الموارد . ولا ينبئك مثل خبير .

ثم على الشباب الناهض ان يعكف على مآثر الاباء من العلوم والفنون الاسلامية النافعة التي تقدمه شوطا بعيدا وترفعه عاليا ، وعليه ان يدع جانبا زائف القول وبهرجة الحديث مثل اشتغاله بما يقهقره حالا ومثالا كالسياسة وماليها مما تكون عاقبته وخيمة . وليجعل نصب عينيه وهجيراه في هذا قول الشيخ الامام الاستاذ محمد عبدة رحمه الله : ما دخلت السياسة في شيء الا افسدته ، هكذا قال هذا النقادة البصير الذي خبر الامور وعجم الزمان حتى لفظ بهذه الكلمة الخالدة وتركها عبرة للمتبصرين ! !

واخيرا لعل الظروف تساعد على القاء سلسلة محاضرات عن نهضة العلم في عصر العلويين الى العصر المحمدي الكريم والى العودة ان شاء الله والعود احمد . والسلام عليكم ورحمة الله .

القيت بتحوير بالمذياع المغربي في العاصمة الرباطية سنة ١٣٥٥

العمامة الخضراء

بقلم امير الامراء العلامة المؤرخ سيدي محمد
ابن الخوجة مستشار الحكومة التونسية

ظهر في عالم الطبع لمدة قريبة رحلة بالقلم الفرنساوي قام بها لنحو مائة سنة فارطة رجل عسكري من ضباط بلاد سويسرة وفد على تونس في صدر دولة المشير احمد باي الاول تضمنت شتى الاخبار المفيدة من احوال المملكة التونسية التي شاهدها ذلك السائح الاروباوي اثناء زيارته لهذه الديار ومن الامور التي استلفتت نظر المؤلف في جملة ماشاهده يومئذ من العوائد والازياء التونسية انتشار العمامة الخضراء المتوجة لرؤوس الكثيرين من الشيوخ كناية على التحاقهم بالنسب الزكي وعنوانا على ثبوت شرفهم في نظر العامة لذلك احببنا في هذه المرة تخصيص نبذتنا التاريخية الشهرية بحديث هذه العمامة وهو حكمها في الشريعة ومتى كان ظهورها في الاسلام لاسيما وان اللون الاخضر مما تنشرح له الصدور وهو في عرف اهل اروبا يرمز للرجاء وءامال الخير وعندنا معشر المسلمين انه من لبوس اهل الجنان قال تعلى « عليهم ثياب سندس خضر » ولنشرع في المقصود فنقول :

ليس للعمامة الخضراء اصل في الشرع الاسلامي ولم تكن معروفة بين المسلمين في القرون الاولى واول ظهورها كان بمصر على عهد الملك الاشرف ابي المعالي زين الدين شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون وكانت في البداية عبارة عن مجرد علامة خضراء تضاف لعمائم الاشراف قال في بدائع الزهور للمؤرخ محمد بن اياس : ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وفيها رسم السلطان (شعبان بن حسين بان السادة الاشراف قاطبة يجعلون في عمائمهم شطفات (١) خضر حتى يمتازوا عن غيرهم وتعظيما لقدرهم فنودي لهم في القاهرة بذلك فامتثلوا امره المتدارك اه وفي ذلك يقول الشيخ شمس الدين محمد بن ابراهيم بن المزين الدمشقي

اطراف تيجان اتت من سندس	خضر كاعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصصهم بها	شرفا لنعرفهم من الاطراف

وقال الشيخ بدر الدين بن حبيب

عمائم الاشراف قد تميزت	بخضرة رقت وراقت منظرا
وهذه اشارة ان لهم	في جنة الخلد لباسا اخضرا

---

(١) قال في المنجد الشطفة من الشيء : القطعة

وممن لم يستحسن مشروعية هذه البدعة عند ظهورها الشيخ شهاب الدين بن جابر الاندلسي وفي ذلك يقول

جعلوا لابناء النبي علامة ان العلامة شان من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم يغني الشريف عن الطراز الاخضر

ويلوح ان الداعي لتمييز الاشراف بشطفة خضراء في عمائمهم انما اقتضته الظروف في هاتيك الازمان لان مدة الملك الاشرف شعبان بن حسين الذي تولى السلطنة في الثانية عشرة من عمره تخللها هرج عظيم بين ولاة الاتراك بجهات المملكة وكان زعيم تلك الحركة الاتابكي يلبغا القابض على رقبة ذلك السلطان الفتى فلعله فعل ذلك سياسة منه لتنفيذ مقاصده باستمالة الاشراف لجانبه فيلتف الناس حوله لمناصرته على اعدائه ولذلك ميزهم باسم السلطان بالعلامة الخضراء المتحدث عنها كي لا يمسهم احد بسوء – وبالتالي تطورت تلك العلامة واستوعبت كامل العمامة واستمر على اختصاصها بآل البيت وانتشرت بين اشراف الافاق في الشرق والغرب واذا تدبرنا ما كان للسادة الاشراف من الحظوة والاعتبار (١) في انظار عامة المسلمين سهل علينا فهم السر الجليل الذي كان مخبوءا في طيات العمائم الخضر المتوجة بها رؤوس حامليها من الاشراف ثابتي النسب

هذا وقد اختلفت انظار اهل الشريعة في حكم هذه العمامة الخضراء فبعض الفقهاء لم يرهـا بدعة مباحة ولم يمنع من ارادها من شريف وغيره بناء على ان الناس مضبوطون بانسابهم الثابتة وبعضهم استروح استحسانها من كلام شيخ الاسلام ابي السعود العمادي لانه يراها تمييزا للشريف عن غيره خوف الانتقاص وعدم الاحترام بين العامة لان الشريف قد يجهل ولان الانساب لا يلزم ان تكون مشهورة بين الناس كما سياتي بيانه بالفتوى الصادرة منه في ذلك

اما ظهور العمامة الخضراء بالديار التونسية فيلوح ان ذلك كان حوالي المائة العاشرة ولا سيما بعد استقرار حكم الترك وترتيب الدواوين بها في القرن الحادي عشر اذ الترك كانوا اصحاب عقيدة صميمة وحب رسيخ في آل البيت فقد كانوا يغدقون عليهم بالاحسان والمنح والاقطاعات وجعلوا لنقيب الاشراف حق الحضور مع اهل المجلس الشرعي عند اجتماع الفقهاء للنظر في النوازل بحضرة الباي ومما لا خلاف فيه ان العمامة الخضراء كانت كثيرة الانتشار بتونس واعمالها في القرن الثاني عشر ولا سيما بالمدن المعروفة بكثرة الاشراف كبلد مساكن وعلى قياسها بلد صفاقس التي لم يزل لها تعلق وثيق بالعمامة الخضراء لهذا الزمان – اما في اواسط القرن الثالث عشر فقد حكى لنا السائح السويسري المشار اليه في طليعة هذه النبذة ان العمامة الخضراء كانت بتونس من الاشياء المستلفتة للانظار

(١) انظر عبارة التوقيع بولاية نقيب الاشراف في صحيفة ١٦٣ بالجزء الحادي عشر من كتاب صبح الاعشى للقلقشندي

بكثرة انتشارها بين الناس وبالتالي اخذ امرها في التقاصر والتراجع الى ان صارت من اللبوس النادرة حتى في الاوساط المعروفة بصحة النسب الزكي بحيث ان حامليها بتونس كانوا يعدون على الاصابع في مبادي هذا القرن الرابع عشر وممن ادركنا من الشيوخ المتوجة رؤوسهم بالزمالة الخضراء (١) الشيخ الشاذلي بن صالح الجبالي كبير اهل الشورى المالكية المتوفى سنة ١٣٠٨ فانه كان شريفا من جهة امه بنت الشيخ الحاج علي دمدم المشهور الشرف بتونس وكان الحافظ الشيخ احمد بن عبد الكريم يؤم المصلين بجامع محمد باي المرادي وعلى راسه زمالة خضراء تسر الناظرين وهذا الفاضل من قرابة الشريف الشيخ محمد بن عبد الكريم الذي كان في جملة المحمدين الاربعين من آل البيت الذين انتخبهم المشير احمد باي الاول باشارة القاضي الشيخ مصطفى بيرم للاجتماع بجامع الزيتونة والدعاء بتفريج الكرب عند اشتداد الطاعون بتونس في سنة ١٢٦٦ وقد تضمن تاريخ الوزير الشيخ احمد بن ابي الضياف اسماء هؤلاء السادة الاربعين وكلهم ممن اشتهروا في تونس بالشرف المطهر وكان اكثرهم يحمل العمامة الخضراء وكان نقيب الاشراف يومئذ الشيخ محمد بيرم الرابع ولكن لم يتخذها شعارا له فيما نعلم ولقد تأصل تعلق بعض الاشراف بالعمامة الخضراء لحد تتويج ضريحه بعد موته بمشهد تعلوه زمالة موشاة بالطلاء الاخضر كما لم تزل من ذلك بقية لهذا الزمان بمقبرة الجلاز التي ضمت تربتها الوانا كثيرة من آل البيت رحم الله الجميع

واعلم ان اشهر بيوت الشرف لهذا الزمان بهذه الديار هم آل بيتي الشريف ومحسن ايمة جامع الزيتونة وكان سلفهم ممن يعتم بالعمامة الخضراء وكلهم من ذرية الشريف الشيخ حسن الهندي الذي كان نقيبا للاشراف بتونس في سنة ١٠٢٣ كما استفيد ذلك من بعض الرسوم القديمة وفيهم يقول القاضي الشيخ احمد بن الخوجة الاول وفيه اشارة لاصلهم الهندي

الا ان نور الله بعد محمد ... بنو بنته الاطهار من وصمة الحقد

وكلهم سيف فرنده لامع ... ولكنما الاسياف اشرفها الهندي

وانت تعلم ما لسيوف الهند من الحد القاطع ناهيك بما وصفها به كعب بن زهير بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس حافل بالمهاجرين والانصار في قصيدته الخالدة

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم اثرها لم يفد مكبول - الى ان قال

---

(١) الزمالة عبارة عن عمامة ذات لف وتركيب منتظم يدوم زمنا طويلا وهي في زماننا هذا من خصوصيات الايمة واهل العلم وهي من اوضاع البلاد الشرقية وكانت معروفة بالفرس في الزمن البعيد فقد رايت بمتحف مدينة بوردو رسما بالدهن يمثل مجلسا فارسيا يرجع للمائة الاولى من التاريخ المسيحي اشتمل على مشيخة من الفرس معتمة رؤوسهم بزمالات كزمالات فقهاء تونس نصاعسوا

ان الرسول لسيف يستضاء به (١) مهند من سيوف الهند مسلول

قال بعض شراحها ان النبي صلى الله عليه وسلم قاطعه عند ذلك بقوله « بـل من سيوف الله » فاعاد كعب قراءتها قائلا « مهند من سيوف الله مسلول » وبهذا التعديل النبوي تناقلتها الالسن والاقلام في القرون السابقة واللاحقة

ولنرجع بك لبيت القصيد يعني العمامة الخضراء موضوع الحديث فقد قدمنا لك ان الامام ابـا السعود العمادي ممن استحسن ابتداعها ولقد سئل في ذلك فاجاب بما يعتمد في الموضوع مع الفتوى بصحة الشرف من جهة الام واليك نص السؤال والجواب

السؤال — هل ثبوت الشرف من جهة الام صحيح ام لا وهل هو بمنزلة الشرف من جهة الاب ام لا وهل لمن شرفه من جهة الام ان يضع العلامة (العمامة الخضراء) التي يتميز بهـا عن العامة ام لا وما دليله وما تعليله افتونا ماجورين

الجواب — نعم ثبوت الشرف من جهة الام صحيح معتد به شرعا واجب قبوله شرعا وعرفا فان ثبت لامراة انها شريفة صحيحة النسب كان اولادها لبطنها ذكورا او اناثا اشرافا ثابتا شرفهم من قبلها مع قطع النظر عن آبائهم وان كانوا ارقاء او عتقاء لا يضرهم ولا يمنعهم من ثبوت سيادتهم من جهة والدتهم ويثبت لهم من السيادة ما ثبت لها وتعين تمييزهم على غيرهم ممن لا شرف لهم بوضع العلامة خوفا من انتقاصهم وعدم احترامهم بين العامة فمن كان امه شريفة ثبت الشرف له ولاولاده ونسله وعقبه وانتظم في سلك الاشراف والادلة على ذلك كثيرة يضيق عنها المقام ويكفي الاشارة الى بعضها وهو ان جميع الاشراف الموجودين الآن (المائة العاشرة) في مشارق الارض ومغاربها انما ثبت لهم الشرف من جهة والدتهم فاطمة الزهراء من جهة السيدين الجليلين الحسن والحسين وهما انما ثبت لهما الشرف من جهة والدتهما رضي الله عنها لا من جهة سيدنا علي والا كان اولاده من غيرها كابن الحنفية اشـرافا فليس خفيا ان علماءنا جعلوا في ذلك قياسا منطقيا من الضرب الاول من الشكل الاول مركبـا من صغرى وكبرى وبيان صغراه من عشرة اوجه وأما كبراه فلم تحتج الى بيان وتحرير نظمه ان الولد بضعة من الام والام بضعة من ابيها فكيف لا يثبت له ما ثبت لها ولهذا حكمنا بشرف الحسن والحسين وقد افردت هذه المسالة بالتصنيف وحظيتها بالتاليف وفيه كفاية اه

(١) قال الشيخ الباجوري لما وصل كعب في قراءةقصيدته الى قولـه « ان الرسول لسيف الخ » رمى صلى الله عليه وسلم بردته الشريفة عليه وبذل له فيها معاوية عشرةءالاف درهم فقال كعب ماكنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته عشرين الفـا واخذها منهم اه وبالتالي انتقلت هذه البردة الشريفة من يد لاخرى الى ان آلت الى الشريف بركات فلما استولى السلطان سليم خان الاول على مصر ودخلت بلاد الحجاز في طاعتــه طلب من الشريف بركات ان يوافيه بالآثار النبوية وفي جملتها البردة المتحدث عنها فارسلهـا اليه مـع ابنـه الشريف ابي نمي فامر بحفظها بـراية طوب قبو عدا البردة الشريفة فقد وضعها بمكان قرب جامع السلطان محمد الفاتح وما زالت هنالك الى انقراض الخلافة من ءال عثمان في سنة ١٣٤٢ ويقال انها لم تزل محفوظة حيث هي هكذاافادنيه المرحوم صاحبنا الوزير السيد الطاهر خير الدين

ولقد وقفت بكناش بعض الافاضل على نادرة لطيفة مضمونها ان الشيخ ابراهيم الرياحي قال له ابنه « يا ابت لماذا لم تشهر نسبك الشريف بين الناس كما فعل فلان وفلان فاجابه يابني لان فاطمة البتول ستعرف وحدها ابناءها يوم القيامة قلت هذا كلام صحيح لا غبار عليه ولكنه لا ينافي كون سيدتنا فاطمة ستعرف ايضا في جملة ابنائها من يتحدث بنعمة الله عليه بانتسابه للعترة النبوية المطهرة. ولذلك نثبت هنا عبارة وثيقة تاريخية في ثبوت شرف اهل البيت الخوجي منة من الله وفضلا منقولة من خط نقيب الاشراف الشيخ محمد بيرم الثالث ومختتمة بطابعه ونصها بحروفها

الحمد لله ثبت شرف الشيخ العلامة السيد محمد بن الخوجة القاضي الحنفي بتونس وعملها في التاريخ واعلم بذلك العبد الفقير الى ربه محمد بيرم الثالث نقيب الاشراف بتونس في التاريخ الواضع ختمه بالمحول في ٢٧ حجة الحرام متمم شهور عام سبعة وخمسين ومائتين والف اهـ

بقي علينا البحث في مسالة العمائم الخضر التي ليس لها من آثار الشرف غير اللون الاخضر وهذه ربما كانت كثيرة في الزمن الماضي وانما قضت عليها الظروف بالاحتجاب تبعا لناموس التطور الذي تناول العمائم من كل لون ورجع بها القهقرى وقد كان المتطفلون عليها يتخذونها ذريعة اما للتمشيخ الفارغ واما للنصب والاحتيال فقد اتفق ان رجلا من اللفيف افضى به الحال للتقدم بصفة عكاشة (١) في صف احدى الجماعات العيساوية وعندها اتخذ له عمامة خضراء فخيمة جسيمة ليست من الشرف في شيء وكنت سمعت من المرحوم السيد العربي بسيس وهو ممن طاف البلاد الشرقية في الطول والعرض ان سائقي العيس لما يكتري الحاج منهم راحلة لقطع الدرب الفاصل بين مكة المشرفة والمدينة المنورة يخفض صاحب الدابة كتفه للحاج ليسهل عليه مهمة الصعود لذروة الجمل فلما يضع الحاج قدمه على كتف الجمال يرفع هذا صوته قائلا : رفقا بآل البيت يا اخي فقد اوجعت عنقي — وبذلك يصبح الحاج في حيرة لاعتقاده ان صاحبه من آل البيت الاطهار ويسترضيه بالزيادة في اجرة الركوب وليس هو غير نصاب محتال من قطاع الطريق لا يملك من الشرف مقدار حبة من خردل بدمه . هذا ما كتبه القلم المحتار وربك يخلق ما يشاء ويختار محمد بن الخوجة

(١) لقب عكاشة المعروف بين اهل الطريقة العيساوية مقتبس من الصحابي سيدنا عكاشة ابن محصن فانه لما بشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة رقص لذلك واهتز فرحا قالو ان اهتزازه في تلك الآونة هو الذي تشبه به اهل الطريقة العيساوية واطلقوه على زعيم اهل الحضرة وسموه عكاشة هكذا سمعت من بعض الشيوخ الماضين والعهدة عليه والشيء الصحيح الوارد في كتب تراجم الاصحاب ككتاب الاستيعاب هو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لاصحابه « سبعون الفا من امتي يدخلون الجنة بدون حساب » وهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون قال له عكاشة بن محصن يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم ودعا له فقام رجل آخر — وكان من المنافقين — وقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال له « سبقك بها عكاشة » ولولا نفاقه لدعا له لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يكاد يمنع شيئا يساله اذا قدر عليه ومن هذه الحكاية الواقعية ترى وان عبارة « سبقك بها عكاشة » التي جرت مجرى الامثال الخالدة هي من مبتكرات النبوة فما احسن وقعها عند وضعها بمحلها

اعظم مشروع للاسعاف العام

الجمعية الخيرية الاسلامية بتونس

فهل هي آخذة حظها من عناية التونسيين؟

الجمعية الخيرية بتونس مؤسسة عظيمة اقيمت لغرض من اشرف الاغراض وانفعها ، وهو مد يد الاعانة للمحتاجين المنكوبين ، خصوصا اصحاب العائلات الذين مدت عليهم الفاقة اجنحتها واناخت عليهم بكلكلها فاصبحوا عاجزين عن القيام باود حياتهم وحياة من تحت كفالتهم من نساء عاجزات واطفال صغار وكان الحياء يمنعهم من ان يتكففوا الناس ويمدوا ايديهم للعطاء جهارا ، فتاسست الجمعية الخيرية لاسعاف مثل هذا النوع بالخصوص ، حتى تجمع لهم بين سد الضرورة وصون ماء الحياة ، واي شيء يجب صونه مثل ماء الحياة ؟

وكان من جملة الاغراض التي اسست لها الجمعية الخيرية تكوين ملجإ للاطفال الصغار تحفظهم فيه وتقوم بتربيتهم وتعليمهم واطعامهم واكسائهم ، ثم يبيتون فيه تحت اشرافها ، ثم تبقى محافظة عليهم حتى يقوى ساعدهم ويشتد كاهلهم فعند ذلك يخرجون للمجتمع وهم رجال مثقفون اصحاء العقول والاجسام .

ومن اجل ذلك لم تقتصر الجمعية الخيرية على مد يد الاعانة للفقراء ، بل اسست مدرسة ابتدائية على نمط المدارس القرآنية - التي تحدثنا عنها وعن فوائدها في افتتاحية العدد الماضي - ليتعلم فيها الاطفال الموضوعون تحت كفالتها ، ثم وسعت في نطاق هاته المدرسة فقبلت فيها عدة تلامذة احرار اقبلوا على التعلم فيها لحسن نظامها ، وظهور انتاجها ، وكانت نعم المنقذ لعدة تلامذة وقع رفتهم من المدارس الدولية لتجاوزهم للسن القانوني المفروض على من يريد الدخول في سلك المتعلمين بها ، وبذلك حفظ مستقبل عدة شبان اذكياء ، اولاها لخاب فيهم الامل ، وحشروا مع الهمل

وقد ظهرت نتائج الجمعية الخيرية ظهورا واضحا لا يمتري فيه احد سواء من ناحية الاسعاف ، ام من ناحية كفالة الاطفال ، ام من ناحية التعليم ، ولولا النهي عن اتباع الصدقة بالاذى لذكرنا عدة افراد انتشلتهم الجمعية الخيرية من الهلاك ، ومدت لهم يد المساعدة حتى صاروا من الافراد الذين يزينون المجتمع التونسي في هذا اليوم ، والذين لا نشك في ان الواجب يفرض عليهم ان يمدوا لها بدورهم يد المساعدة ، وان يكونوا لها اعوانا صادقين ، ودعاة امناء

ان الملوك اذا ما استيسروا ذكروا   من كان يالفهم في المنزل الخشن

ولم تكتف الجمعية الخيرية بهذا العمل الجليل بل ارادت ان تشارك في الاسعاف بصورة اعم

واشمل ، فـاسست من منذ خمسة اعوام مطعما شعبيا يتناول منه الفقـراء الطعام بثمن بخس - وهو نصف فرنك - وقد انتفع من ذلك على الخصوص الفقراء من تلامذة الجامع الاعظم

هذه هي الجمعية الخيرية ، وتلك ءاثارها الباهرة ، ونتائجها الظـاهرة ، فما هو حظها في نظر التونسيين ؟ وهل هم قائمون بالواجب عليهم نحوها ؟ حتى يمكن لها الاستمرار على القيام بما تاسست لاجله من ناحية ، وحتى يمكن لها ان تتوسع في طرق الاسعاف من ناحية اخرى

وسنتـرك الجواب عن هذا السؤال لحضرة رئيسها الماجد الهمام الشيخ السيد البشير معاوية ، الذي قام باعبائها - والحق يقال - قيام الرجل الحكيم ، وحنى عليها حنو المرضعـات على الفطيم ، ولم يشغله عنها واجبه القضائي الشديد المراس

فقد سمعنا من هذا الرئيس الفاضل خطابا اذاعه في الراديو عشية يوم الجمعة ٧ صفر و٨ افريل المنصرمين ، ندد فيه على التونسيين الذين لم يقوموا بالواجب نحو مشروع يجب على جميع الناس ان يلتفوا حوله ويمدوا له يد المساعدة كل على حسب طاقته ، وقد ذكر ان عدد الاطفال الذين هم الآن في كفالة الجمعية الخيرية مائة وخمسون، وهي توشك ان تصير عاجزة عن القيام بشؤونهم وعن الاستمرار على مشاريعها الاسعافية التي فصلناها طالعة هذا الفصل بسبب ضعف حالتها المالية ، ثم تعرض لمـوارد الجمعية وذكر انها تتكون من الاعانة الدولية ومن بعض الاحباس ومن امـوال الزكاة ومن صدقات بعض المحسنين ومن الاشتراكات ، ولما ذكر (الاشتراكات) اطنب فيها القول ، فذكر ان الاشتراك في الجمعية الخيرية مقداره زهيد جدا وهو فرنكان في الشهر ، وقـد عين بهذا المقـدار الطفيف حتى يكون جميع الناس قادرين على التحمل به من غير ادنى كلفة ، لان فرنكـين في الشهر لا يثقلان حتى على فقراء الناس فضلا عن اصحاب اليسار منهم ، واذا فرضنا ان يكون عدد المشتركين في الحـاضرة فقط مائة الف : فيكون مدخول الجمعية من الاشتراكات في الشهر مائتي الف فرنك - اي مليونين واربعمائة الف فرنك في العام - ولكن اتعلمون ما هو مدخول الجمعية من الاشتراكات فعلا ؟ ان مدخولهـا من ذلك عشرون الف فرنك لا في الشهر بل في العام ، اليس هذا امرا موجبـا للخجل والاسف في وقت واحد ؟ اليس في هذا دليل على ان التونسيين لم يعاملوا هذا المشروع بما يجب له من الاهتمام والاعانة؟ ثم استمر في هذا العتاب المر بعبارات كلها صدق واخلاص نحو المشروع الذي خصص حياته لاجله ، والذي يشعر اكثر من كل احد بان الخطر اخذ يهدده : وبان اختـلال الميزان يكاد يقضي عليه

ولقد حصل لنا تأثر شديد من هذا الخطاب، واشفاق على هذا المشروع الذي ان لم يقع تداركه بسرعة فانه ءايل لامحالة للاضمحلال ، لاسيما في هذه الايام التي ارتفعت فيها الاثمان بصورة فاحشة فاذا لم يقف التونسيون وقفة رجل واحد لانقاذه فانه سيضمحل في امد قريب لا قدر الله

لذلك فاننا نتوجه الى ابناء وطننا الكرام ، راجين منهم ان يهتموا بهذا المشروع اهتماما عظيما وان يسارعوا بالاشتراك فيه ، وان يقوم كل منهم بدعاية لانقاذ هذا المشروع بين اقاربه واصدقائه حتى يتوفر في وقت قريب مقدار عظيم من المال تنتعش به الجمعية الخيرية ويشتد به ساعدها في هذا العام العصيب ، فافضل عمل يقدمه الانسان بين يديه هو الصدقة ، التي جعلها الله تعلى كقرض يقدمه الانسان اليه ، ووعد عليها بمضاعفة الجزاء في ءايات كثيرة من كتابه العزيز منها قوله تعلى (ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (الخلق عيال الله ، واحبهم الى الله اشفقهم بعياله)

هذا وان لنا اقتراحين نتقدم بهما الى مجلس الجمعية الخيرية مدفوعين في تقديمهما بوازع الاخلاص لهذا المشروع العظيم ولعله ينتج عن العمل بهما خير كثير

الاقتراح الاول – ان تستاذن الجمعية من الحكومة في القيام باكتتاب عام بعنوان (انقاذ الجمعية الخيرية) ثم تقع له الدعاية الكافية في الصحف وبالمسامرات وبجميع طرق الاشهار ، من غير ان يكون على طريق اليانصيب او غيرة من الوجوه غير المشروعة ، ثم يعين رجال يجمعون بين الحزم والامانة فيقومون بجمع المال من الناس ، فيحصل بذلك - ان شاء الله - خير كثير ، ولعل احسن صورة لتنفيذ هذا الاكتتاب هي ان يعين يوم بعنوان (يوم الخيرية) ويعين المقدار الذي يؤخذ من كل فرد - وهو فرنك او فرنكان مثلا - ثم يقع جمع المال بهذه الصورة من عموم الناس

الاقتراح الثاني – هو تنظيم امر الاشتراكات بكيفية مضبوطة ومدققة من حيث التعميم ومن حيث قبض مقدار الاشتراكات ، حيث قد ظهر لي بعد التتبع انكثيرا من الناس لم تطلب منهم الجمعية الاشتراك فيها ، مع انهم مستعدون غاية الاستعداد للاشتراك ، بحيث لو خوطبوا في ذلك لما بخلوا ، كما ان كثيرا من المشتركين لا يذهب اليهم الخلاص عدة اشهر فاذا تجمع عليهم مقدار كثير ثقل عليهم الوفاء . وهناك حقيقة واقعية لا سبيل لانكارها وهي ان غالب الناس لا يعطون - حتى المقدار القليل - الا بعد الطلب والالحاح فيه .

لذلك فانا اقترح على مجلس الجمعية ان يكون اولا تجارد بها اسماء جميع السكان مع عناوينهم . ثم ينتخب عدة افراد ويكلفهم بقبض المال بانتظام تام ، بحيث يتكلف كل واحد بخمسمائة مشترك مثلا يوزعهم على الشهر توزيعا منظما ، وتنتخب الجمعية افرادا يقومون بوظيفة الرقابة على هؤلاء الخلاصة وتعين لهم على ذلك اجورا وافرة ، لان الانسان لا يعمل بدون اجر كما هو الواقع ، وتخصص كاتبا للقيام بمحاسبة هؤلاء الخلاصة في كل يوم ، وبمجرد ما يظهر التقاعس من فرد منهم فانها تبعده وتعوضه بغيره ، واعتقد انه اذا نتظم امر الاشتراكات بهذا الاسلوب فانه يتكون منها دخل وافر للجمعية ولا تخشى الفاقة بعد ذلك ابدا بحول الله

واني رغما عما عرفه في رجال مجلس الجمعية الخيرية وخصوصا رئيسهم الفاضل من الصدق والحزم والخبرة فاني لم ار مانعا من تقديم هذين الاقتراحين بصفة تذكير لا بصفة ارشاد ، وان كانت اعمالهم ومقرراتهم لا تخرج دائما عن دائرة السداد .

واعيد قبل الانتهاء توجيه النداء لعموم التونسيين بان يقدروا مشروع الجمعية الخيرية حق قدره ، ويقتصدوا - ولا سيما اصحاب اليسار منهم - في بعض ملذاتهم ويعطوا ما يقتصدونه للجمعية الخيرية حتى يعود لها ازدهارها ونضارتها ، وحتى تستمر على اغاثة فقرائنا ، وكفالة ايتامنا في اوسع نطاق ، والله الموفق لما فيه الرشاد ، والهادي الى طرق السداد .

محمد المختار بن محمود

حول تاسيس المدارس القرءانية

نشرنا في افتتاحية العدد السابق مقالة عن المدارس القرءانية وتاريخ تاسيسها ، ألممنا فيه بتاريخ التاسيس باختصار واشرنا الى ما لحضرة الشيخ الوقور السيد خير الله بن مصطفى من الاعمال القيمة لانجاز ذلك المشروع وابرازه للوجود ، وقد وافتنا اثر نشر ذلك رسالة لطيفة من حضرة المؤسس المذكور تعرض فيها لبسط بعض تفصيلات حول فكرة التاسيس وبسط ما وقع اجماله مما لم نطلع عليه

ونحن اتماما للفائدة ننشر هاته الرسالة شاكرين فضل مرسلها الهمام على اعتنائه بهذا المشروع اولا وءاخرا . ونرجو منه ان يجعل هذا التحقيق الذي ارسله كعربون لفصول ننشرها له من بعد يكشف فيها اللثام عن بعض الحقائق التي لا يعرفها الا هو وامثاله ممن مارسوا العمل في هاته البلاد من فجر هذا القرن واليك نص الرسالة المشار اليها

ابني الاعز الشيخ سيدي محمد المختار بن محمود دامت عافيته وسعادته ، اما بعد اتم التحية فاني اطلعت بالعدد الاخير للمجلة الزيتونية على مقالتكم الافتتاحية في المدارس القرءانية فلاح لي وجوب مراجعتكم فيما يخص تاريخ التاسيس احتراما وحفظا للحقيقة التاريخية

ان فكرة اصلاح التعليم الابتداءي العربي خامرت عقلي منذ كنت معلما بفرع المدرسة العلوية فحاولت تطبيق المبادي البداقجية على تعليم القراءة والكتابة في كتيب سميته « معين الصبي على تعلم القراءة والكتابة باللسان العربي » ـ وسلمته الى مدير المعارف في التاريخ الماسوف عليه لويز ماشويل فاستحسنه وابقاه عنده ولما سافر لقضاء الراحة الصيفية بفرانسا طبعه بالمطبعة الحجرية بخط يده ثم وزعه على المدارس الدولية فظهر فضله على الاسلوب العتيق

فاخذت اتحدث في المجالس على وجوب اصلاح التعليم الابتداءي بالكتاتيب ولكن سرعان ما حصل لي اليقين بانه يصعب بل يستحيل ادخال اي تحسين بها لاسباب مختلفة منها ما يتعلق باستعداد جل المؤدبين ومنها ما هو خاص بهيئة الكتاب واختلاف درجات المتعلمين

فعزمت على تاسيس مدرسة خاصه يتبع فيها برامج واساليب ابتكرتها باعانة صديقي سيدي العزيز الحيوني ذي الثقافة المتسعة والآراء السديدة

فتوجهت الى جناب الكاتب العام في التاريخ الماسوف عليه (روى) وقررت له فكرتي والتمست منه الاعانة فكان يصغي ولا يبدي استحسانا ولا انكارا وغاية ما حصلت عليه الوعد بالنظر

وبعد قليل وجه لي بطاقة بخط يده يستدعيني لمقابلة البرون دانتوار المعتمد بالسفارة فاجبت الدعوة وقررت فكرتي باطناب مع بيان ما اخاله ينتج من الفائدة لمواطني وللدولة الحامية فكان جوابه ان سألني : هل انت من رجال العمل ام من المفكرين فقط ؟ فقلت له : « لا يليق باحد ان يحتقر

نفسه » فاشار علي بالمفاهمة مع رئيس جمعية الاوقاف في شان اعانة مالية لابراز الفكرة في اقرب وقت من حيز النظر الى حيز العمل .

فتوجهت الى الجمعية ووجدت رئيسها سيدي البشير صفر تغمده الله برحماته - على علم من المسالة وهو يرعد ويبرق خوفا على اموال الاوقاف من الضياع ويهددني بسوء العاقبة في الدارين اذا تماديت على فكري هذا وقد كنت ملازما للسكوت لما كان بيني وبينه من الاخوة الصادقة المبنية على الاحترام والاخلاص من طرفي وعلى الود من طرفه ولعلمي متانة وطنيته وتيقني انه لم يتصور مرمى المشروع وانه متى تصوره لا يلبث ان يمد اليه يد المساعدة قلبا وقالبا .

خرجت من الجمعية بخفي حنين غير غضبان وغير آيس من رجوع الرئيس الى الصواب طال الزمان او قصر .

وما كان غير بعيد حتى ارسل الي من اعلمني باستعداده لدفع كراء المحل عدد ٥٨ من نهج سيدي ابن عروس وثمن تاثيثه ومرتب معلم اللغة الفرنسية

فانتدبت لادارة المدرسة السيد محمد صفر من حذاق متخرجي المدرسة التاديبية الذي عمل بنشاط وانقطاع لنجاح المؤسسة وله الفضل وحده في بث الفكرة بواسطة من تمرن بمدرسته على تطبيق الطريقة الجديدة وايضا بواسطة ما الفه من الكتب الابتدائية المفيدة

فتحت المدرسة يوم ١٤ شوال عام ١٣٢٤ فاقبلت التلاميذ من سائر الطبقات ووقع توزيعهم على الاقسام بالاختبار وشرعت في القاء الدروس بنفسي لتدريب المعلمين على تنفيذ البرنامج واستعمال الاسلوب المبتكر

هذا وقد سافر سيدي البشير صفر الى مصر ويوم رجوعه كنت في مقدمة من وفد لتهنئته بسلامة القدوم وبمجرد نزوله من الباخرة اقبل علي وجذبني اليه وقبلني يمينا وشمالا وقال لي باعلى صوته : « سر في طريقك فاني من اليوم في اعانتك بجميع ما في وسعي لاني رايت الكتاتيب بالقاهرة واقسم انها دون مشروعك بمراحل »

فبادرت الى استثمار هذه العاطفة الجديدة وعرضت عليه تاسيس مجلس يتولى البحث عن وسائل التحسين فاستصوب الفكرة وقبل برئاسة المجلس الذي تركب ممن ارتضاه من بعض الاعيان

فاجتمع المجلس مرة اولى للاطلاع على ماموريته ثم اجتمع ثانيا لتبادل الافكار في شانها فما راعنا الا ان راينا احد الاعضاء وكان من اهل العلم قدم لنا تقريرا ضافيا سطر فيه برنامجا جديدا للمدرسة احتوى على جميع مبادي العلوم من دينية وعصرية والفنون وبعض الصنائع وعند فراغ الشيخ رحمه الله من سرد تقريره اقتصر الرئيس على وعده بالنظر ولم يجتمع المجلس بعد

هذا ما رايت من واجبي عرضه عليكم لاعلامكم وقراء المجلة بحقيقة تاريخ تاسيس المدرسة القرءانية العصرية

والسلام من ودودكم معظمكم خير الله بن مصطفى لطف الله به في ١١ صفر ١٣٥٧

سهولة الحج الى البلاد المقدسة

ان فريضة الحج المقدسة لا يحتاج الكاتب في تقريرها الى بيان مفصل يسدد فيه الادلة والبراهين ولكنه امر مفروغ منه - انما الذي يحتاج الكاتب الى بحثه هو ناحية هامة من نواحي البحث في وسائل هذه الفريضة واركانها هذه الناحية هي مسئلة الامن واستتبابه وما يتعلق بهذا من الصحة والرفاهية وسهولة طلبات الحاج في مدة اقامته بالحجاز - فالمفروض ذهنيا نظرا لخلو بقاع الحج من وسائل الحضارة الحديثة ان الحاج لا بد ان يلقى المشاكل والعراقيل في سبيل اداء مهمته الدينية المقدسة وهذا الفرض ككل فرض جدلي لا يصعب علينا تفنيده لانه لا يستند على حقيقة من واقع او من منطق - فاتهام هذه البلاد بانها تخلو من وسائل الحضارة الحديثة اتهام لهذه الحضارة نفسها بانها بطيئة السير او عاجزة عن ولوج بلاد يكتنفها بحران البحر الاحمر من غربها والمحيط الهندي من شرقها وهي قبل هذا وبعده بلاد مطروقة سنويا ولا بد ان يستمر طروقها الى مدى الدهر وهذه الفكرة وحدها كفيلة بحمل ولاة امورها على ايجاد ما يجب وجوده فيها من ناحية رفاهية القادمين

اضف الى كل هذا جهود هذه الافئدة من الناس التي تهوي اليها من شتى اقطار الارض المكتضة بالحضارات - فلهذا كله يكتفي المرء البعيد عن هذه البلاد بالحكم لاول وهلة انها آهلة بوسائل الراحة والرفاهية

نحن سكان هذه البلاد المقدسة نشعر قبل كل احد بتحول حالة بلادنا العمرانية في مدى عشر سنوات او اقل تحولا ملموسا في شتى المرافق والنواحي - اذ ترى السيارات على اختلاف انواعها الجيدة تشق قفار الحجاز قبل مدنه - وفيضان مياه العيون والآبار في كل بقعة من بقاعه - وتعداد نشاط دور الاستشفاء المجهزة بآلات العلاج وعقاقيره وكل لوازمه على طول الطرق من جدة الى مكة فعرفات وهكذا في طول طريق المدينة علاوة على الفنادق المجهزة بكل وسائل الراحة لاراحة الحجاج في مختلف الطرقات

هذه لمحة موجزة ألممت فيها ببعض ما يهم المسلمين الوقوف عليه في الحرمين الشريفين - وأما حالة الامن واستقراره فليسال عنه كل من زار الحجاز من الوافدين فانهم شهود صادقون وسيحدثونك ايها القارىء عن كل ما لمسوه من كل ما ذكرناه آنفا

مكة المكرمة الفقير الى ربه تعالى : محمد طاهر الطيب

العاطفة في الادب العربي

هي المحاضرة التي القاها الاديب النابغ السيد
احمد بن المختار الوزير في قاعة المحاضرات بقصر
الجمعيات تحت اشراف هيئة التعليم العربي العمومي

« ٤ »

تنوع العاطفة

واود ان أتبع ما سبق لنا من قول في تعريف العاطفة الادبية وبيان صدقها. وقوة تاثيرها بهذا الفصل. وقد خصصته لدرس ناحية اخرى للعاطفة. خصصت هذه المرحلة لدرس تنوع العاطفة وتفاوت مراتبها في الرفعة والانحطاط. والنقاد المحدثون لا يختلفون في تنوع العاطفة وترتيبها حسب درجاتها المتفاوتة. فمنها السامي النبيل. ومنها الداني الحقير. منها الخير. ومنها الشرير. منها العابد الناسك. ومنها الفاجر الفاتك. ومن الطبيعي ان يتفق النقاد وان يجتمع رايهم على صحة هذا التقسيم والترتيب. والا فهل يجوز ان تتحد عاطفة نبيلة تثير الخير وتدعو ملحة الى الاخاء والتعاون والسلم بعاطفة اخرى تقدح زناد الشر وتحرص على القطيعة الصارمةوالتناكر البغيض ؟ وهل يمكن ان نساوي بين عاطفة الكرم السخي في تامة صوره وبين عاطفة البخل الضنين في اضيق صوره

والادب في هذا يساير علم النفس الى حد بعيد. وعلماء النفس يضعون عاطفة الدين في اسمى درجات الرقي. ويضعون بعدها عاطفة الخلق الفاضل النبيل. وبعد هذه وتلك تاتي عاطفة محبة الجمال ثم ما شئت من العواطف الاجتماعية والقومية

وفي درس النقد الادبي تتلقاك كل هذه الانواع على ما بينها من تفاوت في الترتيب. وعلى ما هي عليه من التصاعد العالي في مدارج الرفعة. ومراقي الكمال. وخليق بنا ها هنا ان نتبادر بذكر امثلة منوعة نوضح بها ما نقول. فمن غرر القصائد الدينية واصدقها هذا القصيد من شعر حسان بن ثابت يفاخر وفد تميم بقوم النبي صلى الله عليه وسلم. اذ يقول :

ان الذوائب من فهر واخوتهم	قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته	تقوى الاله. وبالامر الذي شرعوا
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم	او حاولوا النفع في اشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة	ان الخلائق. فاعلم شرها البدع
ان كان في الناس سباقون بعدهم	فكل سبق. لادنى سبقهم تبع

اعفــة ذكرت في الوحي عفتهــم لا يطمعون . ولا يزري بهم طمع

لا يفخرونــ اذا نالوا عـدوهم وان اصيبوا فلا خور . ولا جزع

وحسان معروف ببريق عاطفته الدينية . معروف باخلاصه الشديد لعقيدته الجديدة . ولولا ذلك ما كان يستطيع مقاومة الشعراء في مكة . ولقد علم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منـه . وعلم ما للشعر من الاثر العظيم في نفوس قريش . فحين تصدى شعراء مكة لهجوه وابطال ما جاءهم به من دعوات الحق والهدى والخير . قـال النبي عليه السلام ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهـم ان ينـاصروه بالسنتهم . فقال له حسان وقد احس بعاصفة ثـائرة طاغية متمردة . تعتلج في قـرارة نفسه . وتنثني متراوحة في جنبات صدره . انالها . واخذ بطرف لسانه قائلا : والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء . ومن كلام النبوة في تحريضه وتاييده . شن الغارة على بني عبد مناف . فوالله لشعرك اشد عليهم من وقع الحسام في غـلس الظلام . وقد كان حقا ما قالته النبوة . فشعر حسان الصادح بمفـاخر النبي وصحابته . المـادح لدينه . المؤيد لدعوته . اذاق المشركين في مكة وخاصة تلك الفئة الهاجية للرسول . المهجنـة لدعوته . مرارة آلام ظلوا يتقلبون من ضرها على النار المتضرمة . اللاذعة . وما كانوا على احتمالها من الصابرين .

وحسبي ما تحدثت به اليكم عن العاطفة الدينية في هذا القصيد . ويسيــر جدا ان يجد الباحث امثلة اخرى تصور مكنون المشاعر الدينية . وتتحدث عن خفاياها الغامضة . على اننا جميعا ما زلنا ننتظر بشوق النتائج القيمة التي سينتهي اليها الباحثون الذين خصصوا كل ما في وسعهم من المجهـود المدخر لدرس العاطفة الدينية التي لعبت ادوارا خطيرة جدا في تاريخ البشرية . من عهود غابرة وازمنة داثرة واغلب الظن ان الادب هو الذي سيكون موضع عنايتهم وهو ما سيكون مادة درسهم وبحوثهم ومنه يستنبطون ما يعن لهم استنباطه من النتائج والاراء الصحيحة الثابتة

ومن امثلة العاطفة الخلقية اللامعة الاشراق الخاطفة الضيــاء الملهمة الفضائل . هذه الابيات من شعر « معن بن اوس » التي قالها مترفقا بالمسيء . ملاطفا من ثقلت عليه وطأة ذنوبه وآثـامه . مغتفرا اوزار لئيم كاشح . وماكر قادح . اذ يقول :

وذي رحـم قلمت اظفــار ضغنــه بحلمي عنـه وهو ليس لــه حلـم

يحاول رغمي لا يحاول غيــره وكالموت عندي . ان يحل به الرغم

فان اعف عنه . اغض عينا على قذى وليس له بالصفح عن ذنبه علم

وان انتصر منه اكن مثـل رائش سهــام عدو يستهـاض به العظــم

صبرت على ما كانـ بيني . وبينه وما تستوي حرب الاقارب والسلم

ويشتم عرضي . في المغيب جاهدا وليس له عندي هوانـ ولا شتم

اذا سمته وصل القرابة سامني قطيعتها، تلك السفاهة والاثم
ويسعى اذا ابنى ليهدم صالحي وليس الذي يبنى، كمن شانه الهدم
يود لو انى معدم ذو خصاصة واكره جهدي ان يخالطه العدم
ويعتد غنما في الحوادث نكبتي وما ان له فيها سناء ولا غنم
فما زلت في ليني له وتعطفي، عليه، كما تحنو على الولد الام
وخفضي له مني الجناح تألفا لتدنيه مني القرابة، والرحم

من لنا بشاعر كمعن بن اوس، يسمو بارواحنا ويحلق بها في آفاق بعيدة عن دنايا الرذائل وشرور الآثام، بعيدة عن سفاهة الفساد وظلمات المكر والخداع، بعيدة عن شراهة الطمع وجوعات الشهوة النافرة، وعن ضلال الاحقاد والفتن الطاحنة الباغية.

من لنا بشاعر كمعن بن اوس نفاح بالخيرات ينعش الارواح باعطار الفضيلة، والطهر والعفاف، وينير غاشية القلوب، وغاشية الابصار.

من لنا بشاعر كمعن بن اوس، تهذبت نفسه الشاعرة بالوحي الحكيم، وتكاملت فضائل روحه العبقري بالدين، فنشأت في اعماق قلبه هذه العاطفة الخلقية في اقدس مثلها العالية السامية، عاطفة محبة الانسان لانه انسان، فاصبح لا يود له الا الخير، ولا يريد له الا السلام وبعد فليس لنا من سبيل ونحن ندرس العاطفة في الادب العربي، وندرس بوجه خاص هذه العاطفة الخلقية التي اظهرت امامكم من تقديسها واجلالها وتمجيدها ما كاد يخرج بي الي مقام الوعظ والارشاد ويبعد بي عن النقد وعن حديث النقاد، كانى قد نسيت تلك القضية التي اشتد فيها النزاع الى ابعد حد، واشتدت فيها الخصومة الى ابعد حد كانى قد نسيت تلك القضية التي كانت تشغل العقول من عهد بعيد وما زالت تشغل العقول الي هذا اليوم الاخير، كانى قد نسيت ما بين النقاد من الاختلاف العظيم في تحديد الصلة بين الفضيلة والادب، وفي الحق انكم ايها السادة تعلمون من تفصيل ذلكم الاختلاف وادلة المتخالفين مثل ما اعلم، ومع ذلك فقد يضطرني الوفاء للموضوع ويطالبني ملحا بذكر جملة المذاهب في شيء من الاجمال تسمحون به.

ومهما يكن من شيء فقد انقسم النقاد القدماء والمحدثون امام هذه القضية الادبية الاخلاقية القديمة الجديدة الى طائفتين وان شئت الى طوائف ثلاث، طائفة تجل الفضيلة وتجعلها مقياسا لرقي الادب وانحطاطه فالادب الذي يناصر الفضائل ويمجدها ويكبرها اكبارا ويثير عواطف الخير في الانسان هو الادب السامي النبيل، والادب الذي لا يحرص على الفضيلة ولا يقيم لها وزنا وانما يثير مشاعر الشر والفجور ويتهافت على دنايا الرذائل تهافتا صريحا هو الادب الساقط النازل.

وطائفة اخرى تمنح الادب الحرية الكاملة المطلقة في التعبير والتصوير . لانه فن . والفن لا تظهر ميزاته الا اذا اتسعت حدود آفاقه وامتدت طروح مراميه . فالاديب له ان يتحدث بما شاء وكيف شاء عن الخير وعن الشر . عن الفضيلة وعن الرذيلة . وليس عليه في نظر هؤلاء ان يراعي حقوق الاخلاق والتقاليد الصالحة المرضية . كما ان الفن ليس عليه ان يحافظ على المبادي الاخلاقية مهما كانت ،عظمة ، محترمة ، مقدسة .

وهنالك طائفة اخرى ثالثة . تحرص على الفضيلة . وتحرص على حرية الادب والفن . تجل الفضيلة وتحترم الاخلاق . وتجل حرية الادب . وتحترم حرية الفن في ابعد حدودها . واقصى مراميها . وهذه الطائفة المتوسطة بحسب الظاهر . المتطرفة على التحقيق . انما تطالب الاديب بشيء واحد تطالبه بصدق التعبير والتصوير . وهي تقول . يكفى ان يصور لنا الشاعر او الناثر تصويرا قويا حادا الرذيلة وما قد جناه من اضرارها وما قد لحقه من آلام ويلاتها المنكرة وكوارثها الفادحة الجارحة . ففي هذا التصوير مانع اي مانع للنفوس من التعلق بالرذائل بل في هذا التصوير اخماد للنزعات الشريرة المركبة في طبع الانسان وما في هذا الراي من الاعتدال الظاهر وحسن التعليل قد يجعله مقبولا الى حد ما مؤيدا الى حد ما .

ولست ادري كيف اصف لحضراتكم هذه الحيرة التي اجدها في نفسي وانا انظر الى هذه القضية من بعيد ومن قريب ، انظر اليها وانا اردد اسئلة مملوءة بالحيرة والريب المريب

وهكذا مازلت اقول هل عجزت الحياة عن مناصرة الخير ؟ هل تخاذلت فلم تقو بعد على تأييد الفضيلة ؟ ثم هل ضعفت الانسانية فتعاظم خوفها من اشباح الشر ، ومن الفن ان يهدم بمعول حريته ركن الاخلاق الفاضلة ، وقد شيدت دعائمه على اسس الاديان والتقاليد الصالحة المحترمة ؟ مازلت أردد هذه الاسئلة وكلما حاولت تكوين راي صريح اعتد به واطمئن اليه شعرت بالحيرة تساورني من جديد وتعاظم الشك في نفسي من جديد وهكذا سينتهي حديثي بينكم ولا اكاد اصارحكم بشيء اثق به او اطمئن اليه وما دام الخلاف في هذه القضية وليد القرن الثالث او الرابع قبل الميلاد فمن الخير ان يعنى به المولعون بالبحث في القضايا الانسانية التي سيطول الزمن ويبعد العهد ويمتد ، وهي مازالت جديدة الحدوث والخصومة ، كما كانت من قبل جديدة الحدوث والخصومة

وأما عاطفة محبة الجمال والتغنى بملاحة الجميل ، فكثيرة جدا مظاهر ذلك في الشعر العربي كثرة مطلقة لايدركها التحصيل ، ولايحيط بها الحصر . ولست مبالغا في شيء اذا ما قلت ان هذه العاطفة كانت تلتهب التهابا في قلوب عامة ادباء العرب ، فمعظمهم حام حول الجمال . وتهافت عليه وأحبه حبا صريحا عنيفا حادا وتغنى به ، وقد اعذر بينكم ان لم اذكر لهذه العاطفة غير مثال واحد لشاعر سحره جمال نجد ، فقال يصفه وصفا جامعا لكل مظهر من مظاهره المملوءة بفتنة البادية ،

وسحرها المحبوب ، لعلي اعذر بينكم ، ولولا ضيق الزمن الذي اخشاه واتوقعه ، لما اكتفيت بهذه الابيات القلائل ،

تمتع من شميم عرار نجد	فما بعد العشية من عرار
الا يا حبذا نفحات نجد	وريا روضه غب القطار
وعيشك ، اذ يحل القوم نجدا	وانت على زمانك غير زاري
شهور ينقضين وما شعرنا	بانصاف لهن ولا سرار
فاما ليلهن فخير ليل	وأقصر ما يكون من النهار

وسأترك الشعر يتحدث اليكم بما فيه من عاطفة الاعجاب والدهشة والحب الصحيح لكل شيء في نجد وسأنتقل بكم بعد هذا الى ذكر آخر مثال لهذه الالوان العاطفية . وهو مثال العاطفة القومية وساختار هذا المثال من النابغة الذبياني . والنقاد المحدثون يعنون عناية فائقة تامة بشعر النابغة الدال على شدة اخلاصه ووفرة حبه لقومه ، اذا كان النابغة لا يشغله المدح والهجاء ، عن شؤون البادية ، وما كانت تشتمل عليه حياة القوم يومذاك من حركات الحرب ، وسكنات الصلح ، وعقد عهود التحالف ، ومد رايات الاحتماء ، كان النابغة اذن يلاحظ بكل دقة تقلبات الحياة الجاهلية وكان يخشى او قل يشفق ان صح هذا التعبير ان تنال الاحداث الكارثة قبيلة ذبيان بشيء من مكروه الاذى والضر فاستمعوا له يبدي خالص نصحه لقومه ويحذرهم من حرب النعمان وشره اذ قد ابوا الاحتماء بحمايته في وادي ذي اقر فذكرهم بهذا القصيد بما قد تتأذى منه الحرائر من ارهاق الاسر وصغار الغلبة وظلم الجائرين .

لقد نهيت بني ذبيان عن « اقر »	وعن تربعهم في كل اصفار
فقلت يا قوم ان الليث منقبض	على براثنه للعدوة الضاري
لا اعرفن ربربا حورا مدامعها	مردفات على اعقاب اكوار
خلف العضاريط لا يوقين فاحشة	مستمسكات باقتاب واكدار
يذرين دمعا على الاشفار منحدرا	يأملن رحلة حصن وابن سيار
وعيرتني بنو ذبيان خشيته	وهل علي بان اخشاك من عار

الى هنا ينتهي حديثي عن العاطفة في الادب العربي ، ولعلي في غناء عن التماس المعاذير من حضراتكم ايها السادة ، اذ ربما اجملت حيث يحمد البسط واختصرت حيث يحمد الاطناب ، وربما اكتفيت بوحي الاشارة والتلميح ، اعتمادا على حسن تصرفكم في التاويل والتفسير ، وربما فاتني التعرض لشيء كان يحسن بي التعرض له ، واخيرا ربما قصرت عن بلوغ الغاية التي حاولت جهدي بلوغها فاذا

كان شيء من ذلك فلعلي اعذر بينكم. ثم لعلي اجد من اخلاص خاصة الادباء الحضور ما يتفضلون به علي من النصح والارشاد الى مواضع النقص ومواطىء الضعف

واذنوا لي يا سادتي الفضلاء، ان اجعل خاتمة حديثي بينكم هذه الكلمة التي املتها علي صراحة شعوري بعاطفة طاغية، تعتلج في سحيق من قرارة نفسي وتهتز ثائرة في باطن من صميم قلبي. اسمحوا لي ان اجاهر بينكم بهذه الاصداء الهاتفة، والكلمات الصارخة، فخليق بمن توفر لدرس العاطفة في الادب العربي، ان يجعل نهاية حديثه بعث عاصفة راغبة لا قرار لها الا في رجفات القلوب مهما كانت القلوب لاهية عابثة

انني - والله يعلم - من اخلص الداعين لتاييد هذه النهضة القومية المباركة، وليس يفتر عزمي، ولا اتخاذل في جهارتي بالدعوات الصادقة الى تاييدها، تاييدا مؤيدا بما شئت من قوة الاخلاص وقوة الايمان، مؤيدا بما شئت من قول وعمل، وبما شئت من روح فتية متوثبة ونفس طامحة راغبة، ولكنني اخشى كل الخشيه واحذر كل الحذر، ان تكون نهضتنا هذه نهضة عرجاء قاصرة، وفي ذلك الضلال والويل، اخشى ان تكون نهضتنا عرجاء قاصرة ان لم تتقدمها نهضة ادبية زاهرة عاطرة نفاحة منعشة فيها هزات الشعور، وفورات العاطفة، فيها نزعات الرغائب، وطموح الآمال، فيها الحداد العنيف الذي يشجينا ترديد انشاده وتسحرنا ارجاع نغماته، فيها قوة الحياة الكاملة، تلك القوة التي تستحثنا بتحريضها وتسوقنا بهدايتها، وتنتهج بنا نهج الفلاح والخير

الا ان للادب سحرا سرمديا خطيرا في تاثيره على مزاج النفوس والعقول، وما كانت نهضات الامم والشعوب في الدنيا الا وليدة الادب الفياض

أليس الادباء هم عشاق الطبيعة، وعشاق الحياة، وعشاق الخلود، وعشاق الكمال، وعشاق الحرية المعاميد؟ اليس الادباء هم الذين احسنوا كل الاحسان لبني الانسان ففكوا الانسانية بسحر خيالاتهم وخواطرهم وافكارهم ومشاعرهم من قيود الغباوة والجهل، وهم الذين حجبوا عن الابصار والاسماع كل ما في الحياة العابسة من غضاضة وهوان وهضيمة ومضض كربه؟ أليس الادباء هم الذين آمنوا وصدقوا، ثم آمنوا وصدقوا، بالترقي والكمال، وهم الذين اسكرتهم نشوة الطموح فتراموا على قدسية المثل العالية، وفتحوا للناظرين ابواب النعيم، فتهافت الرجاء، وشاع في القلوب بارق التاميل؟

واذا ما تمت رسالة الادب القيم، واجتازت الابصار والاسماع، وبلغت الصميم من القلوب الخامدة، فايقظتها من غمرات سكونها، ونبهتها من غفلات فتورها، واسمعتها صوت الطبيعة الناطقة دائما بصادق الوحي، وصادق الالهام، فهنالك ستظهر في سعينا الجديد عزيمة عظمى، وارادة صارمة لا تعرف التخاذل، والتردد، ولا تعرف التواني والتقصير، وامانة هذا الجيل للاجيال المقبلة هي رسالة الادب الخالد لانها رسالة، من القلب الى القلب

احمد المختار الوزير

مجلس اصلاح التعليم بالجامع الاعظم

يجتمع لاول مرة بانضمام عدة افراد لاعضائه الرسميين للنظر في المطالب الزيتونية

ان قانون التعليم بجامع الزيتونة ادام الله عمرانه – المؤرخ بيوم ٤ من ذي الحجة سنة ١٣٥١ الموافق ليوم ٣ مارس سنة ١٩٣٣ – احدث مجلسا جديدا بعنوان (مجلس الاصلاح) . وقد اقتضى الفصل ٦ من القانون المذكور ان هذا المجلس يتركب من وزير القلم والاستشارة بصفته رئيسا ومن شيخ الجامع الاعظم بصفته كاهية ومن شيخي الاسلام الحنفي والمالكي (وصدر امر علي فيما بعد ابطل عضوية شيخي الاسلام وعوضهما بمفتيين حنفي ومالكي من المجلس الشرعي الاعلى بالحاضرة) ومن القاضيين الحنفي والمالكي . ومن مدير جمعية الاوقاف . ومن مدرسين من الرتبة الاولى احدهما حنفي والآخر مالكي يعينان لمدة ثلاثة اعوام مع امكان تجديد انتخابهما ومن متوظف مسلم من طرف الادارة العامة للداخلية (التي صارت الكتابة العامة حيث ابطلت الادارة الداخلية بالمرة) وهؤلاء بصفة اعضاء وقد حدد الفصلان ٧ و ٨ مهمة هذا المجلس وترتيب عمله . حيث ذكرا ان مهمة المجلس المذكور البحث عن الوسائل الصالحة لتنمية وتحسين التعليم بالجامع الاعظم وفروعه . وانه لانجاز الغرض المذكور يعرض على الحكومة جميع الوسائل التي يراها مناسبة وينظر في المسائل التي تحيلها عليه الحكومة ويبدي رأيه فيها . كما اوجب الفصل ٩ انعقاد المجلس مرتين على الاقل اثناء كل سنة دراسية باستدعاء من رئيسه واعتبر الفصل ١٢ ان مقررات المجلس لها صبغة رسمية وانما يتوقف تنفيذها على موافقة المولى الوزير الاكبر ، ومن العجيب ان هذا المجلس لم يقع عقده من يوم تأسيسه اي من منذ ستة اعوام ، رغما عن الاسباب الكثيرة التي كانت توجب انعقاده . حتى كدنا نظن ان الحكومة قد عدلت عنه .

ثم من منذ عامين اخذت المطالب والاقتراحات تتوالى على الدولة من طرف جميع الهيئات بجامع الزيتونة . فالمشيخة تطالب بتنقيح عدة فصول اظهرت التجربة عدم صلاحيتها . والمدرسون يطالبون باحداث قانون كافل بحفظ حقوقهم التي اهمل القانون المشار اليه امرها رغما عن كونه تعرض لجميع الواجبات المفروضة عليهم . والمتطوعون والمحصلون يطالبون بالالتفات اليهم نظرا لاهمية مايقومون به من الاعمال . والتلامذة يطالبون بحفظ مستقبلهم وتقرير مميزات ذات قيمة لشهادات الجامع . وقد وقعت عدة مقابلات من طرف الهيئات المذكورة مع رجال الدولة سيما مع جناب المولى الوزير الاكبر او جناب المقيم العام او جناب الكاتب العام . وكانت دائما تقابل بالمواعيد المطمنة التي لاينقصها الا الانجاز ، وتلقاء تلك المطالب المتوالية والمقابلات المتعددة قررت الدولة تكوين مجلس للنظر في تلك المطالب والبت فيها ليقع انجازها في وقت قريب بحول الله

وقد تكون هذا المجلس من اعضاء مجلس الاصلاح الرسميين وهي اول مرة ينعقد فيها منذ تأسيسه مع انضمام افراد آخرين اليهم روعي في انتخابهم تمثيل كافة الهيئات التي يهمها امر التعليم بالجامع فانتخبت الدولة اثنين من كل طبقة من طبقات التدريس الاربعة بالجامع الاعظم احدهما حنفي والآخر مالكي ، واثنين من المتطوعين المباشرين للاقراء بالجامع كذلك ، واثنين من اعضاء المجلس الكبير ومستشار الحكومة التونسية وشيخ المدينة واحد المحامين . واسندت رئاسة المجلس لجناب وزير القلم والاستشارة الذي هو رئيس مجلس الاصلاح

ورغبة من الحكومة في اظهار اهتمامها بهذا المجلس ومقرراته فقد وقع افتتاحه بمحضر جناب المولى الوزير الاكبر وجناب المقيم العام وجناب الكاتب العام وجناب مدير الادارة العامة والجهوية مع اتباعهم واعوانهم وقد انعقدت الجلسة الاولى لهذا المجلس على الساعة الثالثة من مساء يوم الاثنين في ٣ صفر وفي ٤ افريل بالقاعة الكبرى المعدة للاجتماعات الرسمية بدار الباي وقد جلس افرادها على الصورة الآتية

جلس في الوسط جناب المولى الوزير الاكبر سيدي الهادي الاخوة وجناب المقيم العام م. ارمان قيون ممثل الحكومة الفرنسية ، وعن يمينهما فضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط المفتي المالكي بصفته استاذا مالكيا بالجامع الاعظم ، والسيد محمد قاسم رئيس القسم الاول بصفته احد الاعضاء الرسميين لمجلس الاصلاح ، والسيد البشير البكري بصفته عضوا بالمجلس الكبير والشيخ محمد الزغواني المدرس المالكي من الطبقة العليا بالجامع الاعظم بصفته عضوا رسميا بمجلس الاصلاح ، والشيخ الشاذلي بن القاضي المدرس الحنفي من الطبقة الثانية بالجامع الاعظم بصفته مدرسا وجلس عن يسارهما جناب وزير القلم والاستشارة الشيخ سيدي احمد بن الرايس بصفته رئيس مجلس الاصلاح وفضيلة الشيخ سيدي احمد بن مراد المفتي الحنفي بصفته عضوا رسميا بمجلس الاصلاح وفضيلة الشيخ سيدي بلحسن النجار المفتي المالكي مثله وجناب شيخ المدينة السيد مصطفى صفر والسيد مصطفى الكعاك احد نبغاء المحامين بتونس . والشيخ محمد المختار بن محمود المدرس الحنفي من الطبقة العليا بالجامع الاعظم والشيخ التهامي الزهار المدرس المالكي من الطبقة الثالثة بالجامع الاعظم

وجلس مقابلا لجناب المقيم العام جناب م. كارترون الوزير المفوض المعتمد بالسفارة الفرنسية والكاتب العام للدولة التونسية وجلس عن يمينه فضيلة شيخ الجامع الاعظم الشيخ سيدي صالح المالقي بصفته نائب رئيس مجلس الاصلاح ، وم. سوماني مدير الادارة العامة والجهوية والشيخ سيدي الطيب سياله القاضي المالكي بصفته عضوا رسميا بمجلس الاصلاح والسيد محمد سعد الله مدير جمعية الاوقاف مثله والشيخ الصادق المحرزي الاستاذ الحنفي بالجامع الاعظم مثله ـ والشيخ محمد الفاضل ابن عاشور المدرس المالكي من الطبقة العليا بالجامع الاعظم . والشيخ احمد شلبي المدرس الحنفي من

الطبقة الثالثة بالجامع الاعظم . وجلس عن يساره فضيلة الشيخ سيدي محمد دامرجي القاضي الحنفي بصفته عضوا رسميا بمجلس الاصلاح . وجناب السيد محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية والسيد الصادق التلاتلي بصفته عضوا بالمجلس الكبير . والشيخ محمد الصالح بن مراد الاستاذ الحنفي بالجامع الاعظم . والشيخ معاوية التميمي المدرس المالكي من الطبقة الثانية بالجامع الاعظم . والشيخ الصادق ابو السرور المتطوع المالكي بالجامع الاعظم

وجلس في طرف المنضدة من اليسار الشيخ عبد العزيز بن شعبان المكلف بامور التعليم بالجامع الاعظم بالوزارة الكبرى بصفته كاتبا للجلسة . وعن يساره السيد محمود بن عثمان المترجم بالوزارة الكبرى بصفته معاونا له

وتخلف عن الحضور الشيخ محمد النقاش المتطوع الحنفي بالجامع الاعظم الذي طلب اعفاءه من الحضور بهذا المجلس فوقع تعويضه فيما بعد بزميله الشيخ علي التريكي

وقد وقع افتتاح الجلسة على الساعة الثالثة بالتدقيق بخطاب القاه جناب المقيم العام م. ارمان قيون باللغة الفرنسية . وبعد ما انتهى منه تقدم الشيخ محمود المسعودي احد اعيان المتطوعين بالجامع الاعظم والخليفة الملحق بالوزارة الكبرى فالقى ترجمة ذلك الخطاب باللغة العربية وكان خطابا رفيعا من نوع الخطب العلمية الادبية تعرض فيه للثناء على الجامع الاعظم ومتخرجيه وما تسديه هاته الكلية العلمية الكبرى للمملكة التونسية من بث الثقافة الاسلامية وعلوم اللسان العربي . وذكر ان الحكومة مهتمة بامر هاته الكلية غاية الاهتمام وانها لا تزال تسعى لارضاء متخرجي هذا المعهد العظيم . واطنب بالخصوص عند الكلام على مطالب المدرسين المتعلقة باقرار حالتهم بصفة رسمية وضمان حقوقهم فذكر ان على المدرسين ان يقايسوا بين الحالة التي كانوا عليها سابقا والحالة التي هم عليها اليوم فعند ذلك يظهر لهم شدة اعتناء الدولة بهم وحرصها على ارضائهم . وانهم لو نظروا الى حالتهم قبل عام ١٩١٤ وحالتهم الآن . والى حالة بقية المتوظفين قبل ذلك العام وبعده لظهر لهم ان حالتهم احسن نسبيا من حالة بقية المتوظفين . الخ

وبعد الانتهاء من ترجمة الخطاب المذكور القى فضيلة شيخ الجامع الاعظم كلمات شكر بها جناب المقيم العام على ما صرح به في خطابه من اهتمام الدولة بالجامع الاعظم ومتخرجيه وطلب الاستمرار على هذا الاعتناء حتى يترقى التعليم بالجامع الى اقصى الغايات . ويتحقق لمتخرجيه جميع ما لهم من التمنيات . وقد ترجم كلامه الى اللغة الفرنسية جناب شيخ المدينة

ثم طلب الكلمة الشيخ محمد المختار بن محمود فذكر لجناب المقيم العام ان المدرسين بالجامع الاعظم وان كانوا يعترفون بمزيد السرور بما اسدته الحكومة اليهم من اصناف الاكرام والتبجيل وبالخطوات التي خطوها الى الامام لا سيما في الاعوام الاخيرة . لكنهم عند المقايسة بين حالتهم وحالة غيرهم من

المتوظفين يجدون ان حالة غيرهم احسن من حالتهم بكثير . ويكفي تدليلا على ذلك ان نذكر ان المدرسين محرومون من جميع المنح التي ياخذها سائر المتوظفين على ان الدولة عند ما تقايس بين ما يكلفها التعليم بالمدارس الدولية من المصاريف وما يكلفها التعليم بالجامع الاعظم تجد ان مصاريف الجامع قليلة جدا بالنظر لغيره من معاهد التعليم لا سيما اذا نظرت الى فوائد الجامع سواء في بث العلوم والاخلاق العالية او في تكوين المتخرجين الذين يقومون بسائر الوظائف في الادارات العامة

وقد اجاب جناب المقيم العام عن هاته الملاحظات بجواب محكم حيث قال (لو كانت الامور قد تمت بالجامع على غاية المراد وتم انجاز جميع المطالب والرغبات لما احتاجت الدولة لعقد هذا المجلس)

وبالانتهاء من هاته الكلمات بارح الجلسة كل من جناب المولى الوزير الاكبر وجناب المقيم العام والكاتب العام ومدير الادارة العامة والجهوية وبقي افراد المجلس المعينين رسميا للنظر في المطالب وعند ذلك القى فضيلة شيخ الجامع الاعظم خطابا بليغا تعرض فيه الى تحقيق مهمة الجامع واوما فيه الى المبادي العامة التي ينبغي ان يسير عليها المجلس عند النظر في تلك المطالب وبالانتهاء منه وقع الخوض في كيفية العمل وترتيبه ثم تلى كاتب الجلسة جملة المطالب المقدمة للدولة من مختلف الهيئات بجامع الزيتونة

وانتهت الجلسة على الساعة السادسة على نية عقد الجلسة الثانية في يوم السبت ١٥ صفر و ١٦ افريل الجاريين على الساعة الثالثة ونصف، ولكن لاسباب ادارية تاخر عقدها عن ذلك الموعد

وانا لنرجو من اعمال هاته اللجنة خيرا كثيرا بحول الله لا سيما وهي متكونة من علماء الجامع ومتوظفي الدولة ممن نرجو ان يتحقق على ايديهم الرقي بالتعليم الى المستوى اللائق وانجاز المطالب المفيدة التي يتحتم انجازها

وقد طلبنا من فضيلة شيخ الجامع خطابه فسلمه الينا في اقرب وقت ونحن ننشره شاكرين له فضله وعنايته بالمجلة امد الله في عمره

خطاب فضيلة شيخ الجامع الاعظم

قبل الخوض في الموضوع والنظر في المطالب المومإ اليها يلزم اللجنة ان تتحقق مهمة المعهد الزيتوني وفروعه وما هي وظيفته التي يلزم ان يقوم بها نحو الامة التي تعتبره كعبة الشمال الافريقي والحافظ لدينها وللغتها وبقيامه بهاته المهمة والمحافظة عليها حل منها بالمنزلة التي هو عليها اليوم

كما تتحقق اللجنة ما هي وظيفة المتخرج منه وما يحتاج اليه من متخرجيه في المجتمع

المعهد الزيتوني مؤسسة جامعة لحفظ علوم الشرع ووسائلها بتوسع ولعلوم اللغة العربية والآداب بتوسع ايضا فهو كلية علوم الدين واللغة مع تثقيف تلامذته بصفة لزومية بما تتاكد معرفته من العلوم الرياضية ونحوها بقدر ما تدعو الحاجة اليه من غير اخلال بعلومه الاصلية كما افصح به الفصل ٢٠ من قانون الاصلاح الحالي

ومتخرج المعهد عـالم شرعي او اديب لغوي مع معرفته بما يحتـاج اليه من العلوم الرياضية ونحوها محرز على شهادات تخوله تسنم المراتب العالية وتبوأ الخطـط الشرعية والادبيـة على اختلاف انواعها من عدالة خاصة وعامة وتدريس واستاذية وقضاء وفتيا وكتابة وانشاء بدواوين الحكومة وتعليم بمدارسها وسائر الخطط بدوائر المحاكم العدلية التونسية وبالجملة وظائف القلم العربي من كل ما لا يتوقف على القلم الفرنساوي

فهاته مهمة المعهد ونتائجه المحتاج اليها في المجتمع مما لا يستغنى عنه ولا حاجة بنا اليوم الى تعداد ما اخرجه هذا المعهد من اساطين الفقهاء والعلماء ومن يشار اليهم ممن ملات سمعتهم الآفاق وافعمت بهم بطون التواريخ ووجهتنا اليوم المحافظة على ما له من مجد تالد وذكر خالد

ولقد كان لاول اجتماع انعقد لتحرير لائحة القانون الحالي وكان العبد من جملة اعضائه ان صرح جناب مدير الداخلية لذلك العهد الذي حضر الجلسة الاولى بقوله اننا اجتمعنا اليوم للنظر في اصلاح قانون الجامع الاعظم الزيتوني ولكن يلزمنا قبل كل شيء المحافظة على صبغته الدينية وسمعته القديمة، يشير بذلك الى عدم الخروج به عما اسس له وعما يراد منه مما بيناه انفا وهو ماتعلق عليه الامه امالها، اذا تمحضت لدينا مهمة المعهد ومايراد منه فننقل النظر الى العلوم التي تدرس به اليوم مما جاء به قانون الاصلاح حتى نعلم هل من الممكن مضايقتها او الاجحاف بها باعطاء العلوم التكميلية به من الوقت ما للعلـوم الاصلية وهو ما يحاوله اليوم بعض طالبي الاصلاح

جاء في الفصل ٢٣ من قانون الاصلاح ان العلوم التي تدرس بالمعهد الزيتوني من شرعي ولغوي ورياضي وما يتبعه تبلغ زهاء اربعين علما وجاء في الفصل ٢٤ منه ان ساعات التعليم توزع على الدروس بحسب اهميتها ويكون اكثر الوقت للعلوم الشرعية

واليكم بيان العلوم المذكورة موزعة على الاقسام الثلاثة

العلوم الشرعية

القراءات رواية — القراءات دراية — الرسم التوقيفي — التفسير — التوحيد (علم الكلام) — الحديث الشريف — المصطلح — أصول الفقه — الاصول القريبة — الفقه عبادات ومعاملات (اي علم الحقوق) — مقاصد الشريعة (اي حكمة التشريع وفلسفة الاحكام) — تاريخ التشريع الاسلامي — الفرائض علما وعملا — التوثيق — الاقضية والشهادات (منه القضاء) — الاجراءات الشرعية (ومنه اصول المرافعة) — علم الاخلاق — السيرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة وازكى التسليم

العلوم العربية وآداب اللغة

النحو — الصرف — البلاغة — العروض — اللغة (متن اللغة) — نقد الشعر — الانشاء — الخطابه الرسم القياسي — الخط

العلوم الرياضية وما الحق بها

الحساب والجبر — الهندسة والمساحة — الهيأة والميقات — الجغرافيا — التاريخ — المنطق — آداب البحث — مبادي الكيميا والطبيعة — مبادي حفظ الصحة — فن التعليم

التعليم بالمعهد ينقسم الى ابتدائي وثانوي وعال حسب صريح الفصل ٢١ من قانون الاصلاح فالاول مقدر له اربع سنوات زيادة عما يتقدمه من مباديه وهو التعليم المكتبي لتعلم القراءة والكتابة وحفظ جانب من القرءان العظيم قدر باحزاب ١٥ حسبما جاء بالفصل ١٥٧ وينتهي التعليم الابتدائي بشهادة الاهلية

والتعليم الثانوي مقدر له ثلاث سنوات بعد الحصول على شهادة الاهلية وينتهي بالاحراز على شهادة التحصيل

والتعليم العالي مقدر له ايضا ثلاث سنوات ومنه يبتدىء التخصص بالنوع الشرعي او الادبي فيباشره المحرز على شهادة التحصيل وينتهي بالاحراز على شهادة العالمية في احد القسمين المذكورين ونتائجها ما اسلفناه وهي ما يحصل عليه متخرجوا المعهد الزيتوني

ولفن القراءات ترتيب خاص كما له شهادة التحصيل وشهادة العالمية في الفن المذكور

وقد سادت اخيرا فكرة في بعض التلامذة الزيتونيين ضمنوها في جملة مطالب اصلاح التعليم لا تتفق مع اصول وضعية المعهد وهي طلب مساواة العلوم التكميلية به للعلوم الاصلية واعطؤها نصف ساعات التدريس الامر المجحف بعلوم المعهد الاصلية والمخالف لما اقتضاه الفصل ٢٤ من قانون الاصلاح على خط مستقيم يعللون ذلك بان شهادة التحصيل التي هي نتيجة التعليم الثانوي تساوي شهادة البكالوريا المدرسية وحيث ان هاته الاخيرة تؤهل لتعاطي التعليم العالي المدرسي باحدى الكليات الاروبية للاحراز على شهادة محام او طبيب او مهندس فاذا وفر حظ العلوم الرياضية في شهادة التحصيل واعطيت نصف زمن الدراسة واتقن التلميذ لغة اجنبية خارج المعهد يمكنه بذلك مزاولة التعليم العالي المدرسي ويمكن لمتخرج الجامع الاعظم الاحراز على شهاداته المومأ اليها

ولا شك ان مجاراة هاته الفكرة مما يقضي على علوم المعهد التي اسلفناها وينشأ عنها تشتيت فكرة التلميذ ويخسر معها كلتا الصفقتين

ولقد نشأ عن هاته الفكرة لبعض التلامذة زهدهم في علوم المعهد الاصلية واستخفافهم بها واحتقارهم نتائجها حيث لم تؤهلهم لنتائج التعليم المدرسي الذي يرومون ان يلجوا اليه من طريق تعليم المعهد.

ونحن نسلم أن شهادة التحصيل تساوي شهادة البكالوريا المدرسية في الاعتبار ولكن لا نسلم انها هي هي فشهادة التحصيل بكالوريا لعلوم المعهد تؤهل للتعليم العالي به والبكالوريا المدرسية تؤهل للتعليم العالي المدرسي ووظيفة كل لا تقوم بها الاخرى فهما غايتان مختلفتان مقصدا ووسائل ومحاولة ولوج احدهما من طريق الآخر من الغلط البين والله الهادي الى سواء السبيل سبحانه (انتهى)

اصلاح اخطاء مطبعية في الجزء السادس من المجلة

صه	سطر	خطا	صواب
٢٤٩	٩	فاذا	فان
»	١٠	لانها ابلاغ	لان الربوبية ابلاغ
»	١٢	وطرقه	وطوقه
٢٥٠	١	عليها	كليهما
»	٨	تلك تصرفات	تلك التصرفات
»	١٣	غايل	غائلة
»	٢٠	بعكس ذلك	وبمكن ذلك
»	٢٧	انه في فعل الملايم لا	انها في فعل الملايم له
٢٥١	٢٠	تمثل	تمثيل
٢٥٢	١٠	لعير	لعين
»	٢٩	في الخدد	في الخدر
٢٥٤	١٣	للتقوه وهذا وهل	للتقوي وهل
٢٥٥	٩	يخفظها	يحفظهما
»	١٢	يحتمل اي	يحتمل ان
٢٦١	١	هي	هو
»	١٥	اعوانه	اعوان
»	٣	حيث	حين
٢٦٢	٩	بضرورة	بضروريه
»	١٥	وبنظرية	وبنظريه
٢٦٤	١٥	المدنى	المدينى
٢٦٥	٥	ءاخرهما	اخيرهما

